



# اللغة العربية في جزر القمر



تحرير  
سعيد برهان عبدالله



# اللغة العربية في جزر القمر

المحرر

سعيد برهان عبدالله

المشاركون

سعيد برهان عبدالله  
إسماعيل مولى

سيد عبدالله سيد أحمد جمل الليل  
محمد ذاكر حسن سقاف



### اللغة العربية في جزر القمر

الطبعة الأولى

١٤٤٥ هـ ٢٠٢٤ م

البريد الإلكتروني: [nashr@ksaa.gov.sa](mailto:nashr@ksaa.gov.sa)

ح / مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية، ١٤٤٥ هـ  
وآخرون ، سعيد برهان عبدالله  
اللغة العربية في جزر القمر. / سعيد برهان عبدالله ؛ وآخرون. -  
الرياض، ١٤٤٥ هـ

١٤٤ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

رقم الإيداع: ١٩٩٩٣/١٤٤٥

ردمك: ٠٠-٢٩-٨٤٤٤-٦٠٣-٩٧٨

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو نقله في أي شكل أو وسيلة، سواء أكانت إلكترونية أم يدوية، بما في ذلك جميع أنواع تصوير المستندات بالنسخ، أو التسجيل أو التخزين، أو أنظمة الاسترجاع، دون إذن خطي من المجمع بذلك.

الآراء الواردة في هذا الكتاب تمثل رأي المؤلف ولا تعكس بالضرورة رأي المجمع.

هذه الطبعة إهداء من المجمع ولا يُسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً







## محتويات الكتاب

| الموضوع                                                                                            | الصفحة |
|----------------------------------------------------------------------------------------------------|--------|
| مقدمة المجمع                                                                                       | ٧      |
| المقدمة                                                                                            | ٩      |
| المبحث الأول:<br>التَّعليم العربي والإسلامي في جزر القمر وأثره في المحافظة<br>على الهوية وصياغتها. | ١١     |
| المبحث الثاني:<br>مؤسسات التعليم الإسلامي في جزر القمر.                                            | ٤١     |
| المبحث الثالث:<br>علماء جزر القمر.                                                                 | ٨٣     |
| المبحث الرابع:<br>دور القمرين في نشر اللغة العربية في دول الجوار.                                  | ١٠٣    |
| نبذة عن المؤلفين                                                                                   | ١٤١    |



## مقدمة المجمع

ينشط مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية في مسارات عملٍ متنوعة، ويتولى مهاماً متعددة تتصل بنشر اللغة العربية، ودعمها، وتعزيز مكانتها، والمحافظة على سلامتها نطقاً وكتابةً، والنظر في فصاحتها، وأصولها، وأساليبها، وأقيستها، ومفرداتها، وقواعدها، وتيسير تعلمها بداخل المملكة العربية السعودية وخارجها؛ لتواكب المتغيرات في جميع المجالات، ويتمثل طموح المجمع في أن يصبح مجمعاً متميزاً يخدم اللغة العربية، وينطلق من قلب العالم الإسلامي والعربي، ومن مهد العروبة الأول، وأن يصبح رائداً ومرجعياً عالمياً في مجال اللغة العربية وتطبيقاتها المتنوعة.

وضمن توجيهات سمو وزير الثقافة، رئيس مجلس الأمناء الأمير بدر بن عبد الله بن فرحان آل سعود - حفظه الله - في دعم أعمال المجمع، وبرامجه: العلمية، والثقافية، والبحثية، أطلق المجمع مشروع (المسار البحثي العالمي المتخصص)؛ لتلبية الحاجات العلمية، ومواجهة المشكلات اللغوية، وسدّ الفجوات المتعلقة بالبحث والنشر العلمي، وفتح الآفاق العلمية والمعرفية المتنوعة، واستكمال مسارات النشر اللغوية المتخصصة.

ويهدف المشروع إلى تعزيز دور المجمع، وإيصال رسالته؛ بتغطية مساحات متنوعة من التخصصات، والفنون المتعلقة باللغة العربية، وإثراء المحتوى العلمي ذي العلاقة بمجالات اهتمام المجمع، ودعم الإنتاج العلمي المتميز وتشجيعه، وفتح المجال أمام الباحثين والمختصين، وتوثيق صلتهم بالمجمع؛ وذلك بإشراكهم في أعمال هذا المشروع.

ويضمُّ المشروع مجالاتٍ بحثيةً متنوعة، ويغطي الموضوعات التي تعرّز موقع العربية ضمن اللُّغات الحضارية العالمية، ومن أبرزها: (دراسات التّراث اللُّغوي العربي وتحقيقه، والدّراسات حول المعجم، وقضايا المصطلح، وقضايا الهوية اللُّغوية، ومكانة العربية وتعزيزها، واللّسانيّات التّطبيقية، والتّخطيط اللُّغوي، والسّياسة اللُّغوية، واللّسانيّات الحاسوبية، والترجمة، والتّعريب، وتعليم اللّغة العربية للناطقين بها وبغيرها، والدّراسات البيئية).

وقد بدأ المشروع باستقبال الدّراسات النوعية الجادة، وتواصل مع: (المختصين، والباحثين، والمؤسّسات العلمية داخل المملكة العربية السعودية وخارجها)، ودعاهم إلى المشاركة في المشروع، واتخذ الإجراءات المتصلة بتحكيم الأعمال والنظر في جديتها وأصالتها ومدى إضافتها للمكتبة العربية واستنادها إلى المعايير المتعارف عليها في البحث والمنهج والتوثيق قبل طباعتها ونشرها.

ويأتي هذا الكتاب (اللغة العربية في جزر القمر) ضمن سلسلة: (العربية في العالم)، وهي سلسلة يسعى فيها مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية إلى مدّ جسور التواصل مع الناطقين بالعربية في العالم من خلال تسليط الضوء على واقع اللغة العربية، وتوفير البيانات والمعلومات عن الأفراد والمؤسّسات والجهات التي تعنى بخدمة اللغة العربية.

ويشكر المجمع محرر الكتاب سعادة الدكتور سعيد برهان عبدالله والمؤلفين المشاركين الذين تفضّلوا بالتجاوب مع المجمع، ودعموا فكرته، وتفضلوا بكتابة مقالاتهم وبالتواصل الفعّال لإنجاح هذا الكتاب، ويدعو الباحثين إلى التواصل مع مشروعات المجمع، ومنها: مسار البحوث والنشر العلمي؛ للمشاركة فيه والمساهمة في إثرائه.

الأمين العام للمجمع

أ.د. عبد الله بن صالح الوشمي

## المقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان، والصلاة والسلام على أفضل ناطق بالضاد من ولد عدنان، وعلى آله ذوي المناقب الحسان، وأصحابه الذين شهد الله لهم بالصدق والإيمان، ومن تبعهم بإحسان فنصر الدين باللسان واللسان إلى يوم يحكم الله بين عباده، ففريق في الجنان وآخر في النيران، أعاذنا الله من الخزي والخسران.

أما بعد: فإن مما ميز الله به بني آدم عن سائر مخلوقاته صفة النطق والبيان، وفضلهم بذلك على سائر الحيوان، وجعل البيان من نعم الله الكبرى التي أكرم الله بها الإنسان، فقال عز من قائل بعد سرده نعمًا عدة منها البيان: (فبأي آلاء ربكما تكذبان) الرحمن ١٣.

فلغة كل قوم جزء من هويتهم ورمز لثقافتهم، بها يتخاطبون في قضاء حوائجهم وتبادل سبل العيش بينهم، وبها يكتبون معارفهم شعراً ونثراً، وهي وسيلة حفظ مآثرهم جيلاً بعد جيل، وبقدر ما يتقن الإنسان لغة قوم يقترب منهم ويأمن مكرهم.

وقد شرف الله اللغة العربية بأن أنزل بها كتابه المبين، وجعلها لغة سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم، ولا يتأتى للمسلم أداء شعائره دينه إلا بها، ولا يمكنه فهم شريعة الله فهمًا صحيحًا إلا بإتقانها، لذا حرص المسلمون عربًا وعجمًا على تعلمها وتعليمها؛ صيانة للدين من الانحراف والتبديل، وحفاظًا على تراث الأمة وهويتها، فوضعوا لها القواعد النحوية، وشرحوا بها النصوص المقدسة، وألفوا بها الفنون الإنسانية والتطبيقية كافة، فصارت لغة الدين والدولة والتاريخ والحضارة، ولغة السياسة والصناعة لدى المسلمين قاطبة.

ولعدة قرون مضت كانت هي السائدة وحدها في كل الأصقاع التي وصل إليها هذا الدين دون منافس، وما طرأت الرطانة على المسلمين إلا مع ضعفهم واستعمار العدو لبلادهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

والشعب القمري - كغيره من الشعوب الإسلامية - منذ دخل الإسلام إلى بلاده اعتنقه ديناً واتخذ العربية لغة لدينه ودولته، وحافظ عليها، وقام بتدريسها جيلاً بعد جيل. فالعربية منذ فجر الدولة القمرية وأيام سلاطينها العظام هي لغة الدين والديوان، بها كتبت المعاهدات مع الدول والقوى الأجنبية، وبها كتبت العقود والمحاضر في المحاكم، وبها أصدر الملوك والسلاطين مراسيمهم، إلى أن جاء الوافد الأجنبي بلغته وثقافته فبدّل الأرض غير الأرض والناس غير الناس، والأيام دول بين الناس.

وإذا حظيت اللغة العربية بهذه المكانة في المجتمع القمري فذلك راجع إلى الجهود المستمرة لعلماء هذه البلاد في الحفاظ عليها والسعي الدؤوب إلى تطويرها ونشرها، حتى باتت واحدة من لغات البلاد الرسمية بعد نيلها استقلالها ولله الحمد والمنة.

وتتناول هذه المجموعة المباركة بعض الجوانب المضيئة لوضع اللغة العربية في هذه البلاد القمرية، حررها وزبرها عدد من أبنائها الذين يعملون في ميدانها معلمين ومؤلفين.

وهي عبارة عن أوراق علمية محكمة قدموها في مناسبات مختلفة، لكنها تصب في موضوع واحد كأنها فصول رسمت له.

# المبحث الأول

## التَّعليم العربي والإسلامي في جزر القمر وأثره في المحافظة على الهوية وصياغتها

إعداد: د. سيد عبد الله سيد أحمد جمل الليل

أستاذ الدِّراسات الإسلاميَّة بكلية الإمام الشافعي بجامعة جزر القمر

اللغة العربية في جزر القمر







## مقدمة

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على النبي الأكرم، الذي رحم الله به الناس من عربٍ وعجمٍ، وعلى آله أهل الفضل والكرم، وأصحابه الذين ناصروه بالمال والدّم، ومن سار على نهجه الأقوم واتبع شرعه المحكم.

### وبعد:

فلقد حظي العلم والحثُّ عليه وإكرام أهله في الإسلام بمنزلة رفيعة ومكانة عالية لم تكن في غيره من الديانات والحضارات الأخرى.

وقد تضافرت النصوص من الكتاب والسنة وأقوال السلف في بيان فضل العلم وأهميته للفرد والمجتمع، وكذلك في التحذير من الجهل وآثاره السلبية على الفرد والمجتمع، قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، وقال أيضاً: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩]، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: (مَنْ يُرِدَ اللَّهُ بِهِ خَيْراً يَفْقَهْهُ فِي الدِّينِ) متفق عليه<sup>(١)</sup>، إلى غير ذلك من النصوص التي تضمّنتها دواوين الإسلام.

إنّ الإسلام دينٌ متكاملٌ شاملٌ لجميع جوانب الحياة، قال تعالى: ﴿مَافَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، فهو منهجٌ شاملٌ للتصوُّر والاعتقاد والعمل، منهج لا يعرف الانقسام بين أشواق الروح وحاجات الجسد، منهج يجعل من العلوم المادية وثمراتها الحضارية مطلباً أساسياً لعمارة الأرض، ولكن في ظل علاقة الخالق بالمخلوق.

وهو الدين الذي لا يقبل الله من أحدٍ ديناً سواه، قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، ويقول عليه الصلاة والسلام: (والذي نفس محمد بيده،

(١) البخاري: حديث (٧١) كتاب العلم: باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين. ومسلم: حديث (١٠٣٧) كتاب الزكاة: باب النهي عن المسألة.

لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلتُ به، إلّا كان من أصحاب النار<sup>(١)</sup>.

ومن منطلق أهمية العلم والتعليم في الإسلام جاءت هذه الورقة البحثية، مشتملة على مقدمة ومبحثين وخاتمة، وفق الخطة الآتية:

**المقدمة:** اشتملت على بيان منزلة العلم وفضله في الإسلام.

**المبحث الأول:** التعليم والهوية، وفيه ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول:** مفهوم التعليم والهوية.

**المطلب الثاني:** علاقة التعليم بالهوية.

**المطلب الثالث:** أثر التعليم الإسلامي في المحافظة على هوية المسلم.

**المبحث الثاني:** التعليم العربي والإسلامي في جزر القمر وأثره في المحافظة على الهوية وصياغتها، وفيه ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول:** تعريف موجز بجزر القمر.

**المطلب الثاني:** التعليم العربي والإسلامي في جزر القمر.

**المطلب الثالث:** أثر التعليم العربي والإسلامي في المحافظة على الهوية وصياغتها في جزر القمر.

## الخاتمة

وصلى الله على نبيّنا محمد وآله وصحبه وسلّم.

(١) رواه مسلم في صحيحه، حديث (١٥٣) كتاب الإيمان: باب وجوب الإيمان برسالة نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ونسخ الملل بملّته.

# المبحث الأول التعليم والهوية

وفيه ثلاثة مطالب

## المطلب الأول: مفهوم التعليم والهوية

وفيه فرعان:

### الفرع الأول: مفهوم التعليم

عرف الإنسان التعليم منذ عصور ما قبل التاريخ؛ حيث كان البالغون يقومون بتدريب الأطفال واليا فعيين على المهارات المختلفة التي تساعد في الحياة، إضافة إلى إكسابهم الخبرات بالتجربة العملية، وكان التعليم في تلك العصور شفافياً لعدم اختراع الكتابة إلى ذلك الحين، كذلك كانت القصص والروايات الأسطورية تنتقل من جيل إلى آخر تحمل القيم التعليمية وتزيد من مدارك صغار السن. ومع التطور اتجه الإنسان إلى التعليم الرسمي، حيث ظهرت المدارس في مصر الفرعونية في عهد الدولة الوسطى، وفي اليونان حيث قام أفلاطون بتأسيس مدرسته في أثينا، وفي الصين وضع كونفوشيوس مذهباً في التعليم انتشر في مناطق الشرق الأقصى، وفي العصور الحديثة أصبح التعليم لا غنى عنه لأي فرد؛ لما كسبه الحياة والتطور والقدرة على الاندماج في المجتمع.

والتعليم هو: معرفة شيء لم يكن الشخص يعرفه من قبل، فهو إزالة الجهل بالشيء ليحل محله العلم به ومعرفته.

ويعرّف التربويون التعليم بأنه: العملية التي يُبنى من خلالها الفرد عقلياً لمحو الأمية في المجتمع، بما يساهم في تطور الحضارة ونماء المجتمع، وتقاس درجة تطور المجتمعات بنسب المتعلمين بها.

فالتعليم: عبارة عن عملية منظّمة يُمارسها المعلّم؛ بهدف نقل المعلومات والمعارف المهارية إلى الطلاب، وتنمية اتجاهاتهم نحوها. ويُعدّ التعلّم هو النّاتج الحقيقي لعملية التّعليم. وقد يحدث التعليم داخل المؤسسة التعليمية أو خارجها، وهو عملية شاملة؛ فيشتمل على: المهارات، والمعارف، والخبرات، كالسباحة، وقيادة السيارة، والحساب، والكيمياء، والشجاعة، والأخلاق، وما إلى ذلك.

كما يطلق مصطلح التعليم على كل عملية تتضمن تعليم الأفراد، سواء أكان ذلك بطريقة مقصودة أو غير مقصودة؛ حيث إنّهُ من الممكن أن يكون مخطّطاً له بشكل مسبق، أو أنّه حدث في التّواللحظة دون تخطيط مسبق؛ كأن يتعلم الفرد أموراً جديدة من خلال متابعته لفيلم معين على التلفاز مثلاً.

## الفرع الثاني: مفهوم الهوية

مصطلح «الهوية» من المصطلحات المعاصرة، ويذكر بعضُ كتب اللغة المعاصرة أنّ كلمة (هوية) أصلها كلمة (هُوَ) الضمير المنفصل الذي يعود على شخص ما<sup>(١)</sup>، ولهذا فإنّ الصّواب في الكلمة هو: الهوية -بضمّ الهاء- وليس الهوية -بفتحها-.

وقد عرفت الهوية في المعاجم الحديثة بعدة تعريفات، منها:

الهوية: هي حقيقة الشّيء، أو الشّخصية المطلقة المشتملة على صفاتها الجوهرية التي تميزها عن غيرها<sup>(٢)</sup>.

وعرّفها الجرجاني بقوله: الهوية: الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتغال النواة على الشجرة في الغيب المطلق<sup>(٣)</sup>.

(١) قال في دستور العلماء: (الهوية: مأخوذة من هو هو وهي في مُقابلة الغيرية). ٣٠/٣.

(٢) المعجم الوسيط ٩٨/٢.

(٣) التعريفات، للجرجاني ص ٢٥٧.

وقال الكفوي: «لفظ الهوية فيما بينهم يُطلق على معانٍ ثلاثة: التَّشخُّص، والشخص نفسه، والوجود الخارجي. قال بعضهم: ما به الشيء هوَ باعْتِبَار تحقُّقه يُسمى حَقِيقَةً وذاتاً، وباعْتِبَار تشخُّصه يُسمى هوية، وإذا أخذ أعم من هذا الإعتبار يُسمى ماهيةً، وقد يُسمى ما به الشيء هُوماً هِيَّة إذا كان كلياً، كماهية الإنسان، وهوية إذا كان جزئياً، كحقيقة زيد، وحقيقة إذا لم يُعتبر كليته وجزئيته، فالهويتان متلازمتان صدقاً، والماهية بالإعتبار الثاني أخصُّ من الأولى، والحقيقة بالعكس»<sup>(١)</sup>.

وعرّف بعض الباحثين (الهوية) بأنها: مجموعة العقائد والمبادئ والخصائص التي تجعل أمةً ما تشعر بمتغيراتها للأهم الأخرى<sup>(٢)</sup>.

وتقوم الهوية على أربعة عناصر: (العقيدة، والتاريخ، واللغة، والأرض) فإن تكوّنت هذه العناصر الأربعة في أمة عبّرت بمجموعها عن هوية تلك الأمة.

فالهوية إذاً هي المرجعية أو الخلفية التي تتشكّل منها الشخصية الإنسانية.

وهوية المسلم: هي حفاظه على دينه، واعتزازه به، وتمسكه بتعاليمه، والتزام منهجه في صغير الأمور وكبيرها.

ويستعمل مصطلح (هوية) في الأدبيات المعاصرة لأداء معنى كلمة Identity التي تعبر عن خاصية المطابقة: مطابقة الشيء لنفسه، أو مطابقته لمثيله. قال في المعجم الوسيط: «والهوية: بطاقة يثبت فيها اسم الشخص وجنسيته ومولده وعمله، وتسمى البطاقة الشخصية أيضاً «محدثة»»<sup>(٣)</sup>.

وفي معجم اللغة العربية المعاصرة: «الهوية: وثيقة رسمية تحمل اسم الشخص ورسمه وسماته وتثبت شخصيته، تصدر من الحكومة، بطاقة»<sup>(٤)</sup>.

(١) الكليات، للكفوي ص ٩٦١.

(٢) تجديد الوعي، للدكتور عبد الكريم بكار.

(٣) المعجم الوسيط ٩٩٨/٢. وينظر أيضاً: موقع الإسلام اليوم <http://www.islamtoday.net/files/>

(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة ٣/٢٣٧٢ مادة (هو).

## المطلب الثاني: علاقة التعليم بالهوية

لا شك أن ثمة علاقة إيجابية بين التعليم والهوية، فالتعليم هو أحد مداخل تشكيل الهوية، ومن خلال التعليم تتم تنمية مكونات الهوية الثقافية الوطنية وغرس القيم المعرفية والخلقية، وبناء الهوية يفترض حالة من التجانس والمساواة بين أبناء الأمة الواحدة تتحقق عبر ما تتبناه المؤسسة التعليمية.

إن التعليم هو اللبنة الأولى في تشكيل وبناء شخصية الإنسان وصقلها ووضعها على الطريق الصحيح؛ لتسهم في عملية التنمية، فمتى كان التعليم قوياً له أصوله الراسخة، وقواعده المتينة، وشموله الواسع، ومعايشته لشؤون الحياة، وارتباطه بواقع الناس، أثروا شكاً في إبراز الهوية والمحافظة عليها والتمسك بها؛ ولهذا كانت عناية الإسلام بالتعليم بالغة القدر.

لكن بالرغم من أهمية التعليم في تعزيز الهوية الوطنية، غير أن تأثيره لا يبدو بالمستوى المطلوب، وأسباب ذلك كثيرة ولا شك، بل أحياناً يقود إلى نتيجة عكسية لخلل أو لآخر في بناء عناصر العملية التعليمية، أو لفصل العملية التعليمية عن العملية التربوية، ثم فصل المجالين معاً عن المحيطين الأسري والاجتماعي العام.

إن التشريعات التعليمية تعد تطبيقاً وتحقيقاً وإنعاشاً للرؤية العامة للدولة المتضمنة في دستورها؛ لذلك كان من الضروري أن تشتق الأهداف العامة للسياسات التعليمية من المقومات الأساسية للمجتمع، بحيث تسهم في تكوين شخصية مستقلة ومتوازنة ومتفتحة، تدرك تحولات الحضارات الإنسانية وتطوراتها، هذا من جانب، ومن جانب آخر ينبغي ألا يغيب عن أذهاننا وبرامجنا أن المدرسة هي المجال الحقيقي لترسيخ القيم الأخلاقية وقيم المواطنة وحقوق الإنسان، بحيث يلزم أن يكون المنهاج التعليمي عاملاً معززاً للهوية لا مشككاً فيها أو متجاوزاً لها.

فليس التعليم هو الهوية الوطنية، لكنه المصدر الأهم في تشكيلها وصناعتها وإخراجها إخراجاً حسناً، والهوية الوطنية لا تموت في غياب التعليم لكنها تنقص كثيراً.

## المطلب الثالث: أثر التَّعليم الإسلامي في المحافظة على هويَّة المسلم

إنَّ التَّعليم الإسلامي في المجتمع المسلم أحدُ قواعده، وركنٌ من أركان بنيانه، وصمامُ أمانٍ لأهله من فتن الشبهات والشهوات، وسدٌّ منيعٌ دون التأثير بالتيارات الضَّالة والمناهج المنحرفة والطرق المبتدعة، وهو أيضاً يكوِّن الشَّخصية المسلمة كما أَرادها الإسلام، متكاملة مترنة، تركز على الصَّلة الدائمة بالله تعالى، تعبُّده وحده دون سواه، وتصرفُ له سبحانه جميع أنواع العبادة، ولا تشركُ معه أحداً، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ۚ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

كما أنه لا يقتصر على تنمية جانبٍ واحدٍ من جوانب حياة المسلم وتوجيهه، بل يهتمُ بجميع جوانبه الرُّوحية والأخلاقيَّة والعقليَّة والماليَّة والمكِّيَّة والجنسيَّة وغيرها. التَّعليم الإسلامي يكسب المسلم القدرة على تحقيق التوازن بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة، والتوازن بين رغبات الروح ومطالب الجسد، والتوازن بين النزعات الفردية والنزعات الاجتماعية، ويحرص على الجمع بين صلاح الظاهر والباطن، وصلاح القول والعمل، وسلامة النية والمقصد، ويؤكد أنَّ انتماءه لمجتمعه المسلم وتأدية حقوقه واجبٌ ديني.

وفي مقابل هذا، فقد حذَّر الإسلام من الفُرقة والشُّذوذ عن الجماعة ونزع يد الطاعة ممن ولاه الله أمره، يقول تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].



وأمر بالصُّلح بين المتخاصمين ورغب في ذلك وحثَّ عليه، فقال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤]، وقال أيضاً: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].

وبيّن عليه الصَّلَاة والسَّلَام ما ينبغي أن يكون عليه المجتمع المسلم من الترابط والتلاحم، حيث قال: (مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم، مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسَّهر والحمى)<sup>(١)</sup>.

التَّعليم الإسلامي يُبين للفرد الحقوق الواجبة عليه تجاه إخوانه المسلمين، مما دلَّ عليه القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة، كما يرشده إلى مكارم الأخلاق ومعالي الفضائل ومحاسن الشيم، قدوته في ذلك أحسن الناس خلقاً نبيناً عليه الصَّلَاة والسَّلَام الذي أثنى عليه ربُّه جلَّ وعلا بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

كما أنَّ التَّعليم مجالٌ رحبٌ، يتيح للمسلم الاطلاع على التاريخ الإسلامي، والنظر في سير الصَّالحين من العلماء والقادة والدعاة والولاة والمجاهدين، وغيرهم ممن بذلوا جهودهم، وأفنوا أعمارهم، وصرفوا أوقاتهم في خدمة هذا الدِّين ونشره بين العالمين، أداءً للأمانة، ونصْحاً للأمة، وكسباً للعمل الصَّالح في هذه المجالات المباركة المتعدِّية نفعها وثمرتها للآخرين، وفي ثنايا تلك السير العطرة والصفحات الناصعة من تاريخنا الإسلامي يجد المسلم القدوة الحسنة والأسوة الصَّالحة التي تحثه على أعمال البر والخير والإحسان، كما قال القائل<sup>(٢)</sup>:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم      إنَّ التَّشْبُهَ بالكرام فلاح.

(١) رواه مسلم في صحيحه، برقم (٢٥٨٦) كتاب البر والصلة والآداب: باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم. من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٢) هو: شهاب الدين يحيى بن حبش السهروردي (ت: ٥٧٨هـ)، ينظر: مقدمة عيون الأختار ص ٤.

## المبحث الثاني

# التعليم العربي والإسلامي في جزر القمر وأثره في المحافظة على الهوية وصياغتها

وفيه ثلاثة مطالب:

### المطلب الأول: تعريف موجز بجزر القمر



#### الاسم والموقع:

في المحيط الهندي، وفي المدخل الشمالي لقناة موزمبيق، بين السَّاحل الشرقي لقارة أفريقيا وجزيرة مدغشقر، يقع أرخبيل جزر القمر، ذو المساحة الإجمالية المقدَّرة بـ ٢١٤٧ كيلومتراً مربعاً، موزعة على مساحات غير متساوية بين جزرها الأربعة المأهولة بالسكان، المقدَّر تعدادهم بمليون نسمة تقريباً. وهي دولة عريضة أفريقية إسلامية.

وتتمتع جزر القمر بأهمية إستراتيجية نتيجة لموقعها كملتقى للطرق الملاحية المتَّجهة من جنوب آسيا والهند إلى الجنوب الأفريقي والعكس. كما تعدُّ قناة موزمبيق أقصر طريق بحري يربط بين دول الخليج العربي والبترونية ودول الغرب الصناعية عن طريق رأس الرجاء الصالح، ما جعل جزر القمر في الماضي والحاضر - بحكم هذا الموقع - هدفاً للتنافس الدولي والأطماع الخارجية<sup>(١)</sup>.

(١) ولاشك في أن تمسك فرنسا بجزيرة مايوت القمرية غير آبهة في ذلك بالشرعية الدولية والقرارات الأممية والإقليمية يجسد أبرز المظاهر الدالة على هذه الأطماع، حيث أضحت مايوت قاعدة عسكرية واستخباراتية لها في المحيط الهندي.

### أما جزرها الأربعة، فهي:

- جزيرة القمر الكبرى «نغازيجا-Ngazidja»، التي فيها العاصمة «موروني»، والمطار الدولي في «هاهايا»، ومن أشهر مدنها «ميتسامهول» في الشمال، و«فمبوني» في الجنوب.
- جزيرة أنجوان «نزواني-Ndzouani»، وهي الثانية من حيث المساحة، وفيها الميناء الدولي في «موتسامودو»، ومن أشهر مدنها: دوموني، وواني.
- جزيرة موحيلي «موالي-Mwali»، وهي صغرى الجزر مساحة، ومن أشهر مدنها: «فومبوني»، و«بندر سلاما» وفيها المطار، و«مبوانغوما» وفيها الميناء.
- جزيرة مايوت «ماوري-Maoré»، وهي لا تزال تحت نفوذ الاستعمار الفرنسي رغم مطالبة جزر القمر بها.

### التركيبة السكانية وديانتها:

يسكن هذا الأرخبيل مجتمع خليط يتفاوت بين الأصول العربيّة من عرب جنوب الجزيرة العربيّة من عمان وحضرموت، والآسيويّة من ملايو وهنود وصينيين، والأفريقيّة من قبائل البنتو، إضافة إلى الأوروبيّة مع دخول المستعمر. ويشكّل الجنس الأفريقي القاعدة العريضة للشّعب، فيما يمثل الجنس العربي الطبقة المتعلّمة والفئة العالية التي أخذت على عاتقها لواء نشر الإسلام وتعاليمه في جميع أطراف البلاد، حتى أضحت هذه الجزر كلها مسلمة، دانت لسلطان الإسلام ولا تزال.

### التاريخ السياسي:

ينقسم التاريخ السياسي لهذا البلد إلى ثلاث مراحل مهمّة، هي:

- ١- مرحلة ما قبل الاستعمار: حيث كانت الدولة منقسمة إلى سلطنات مستقلّة، تمثّل كل جزيرة سلطنة بذاتها، لها سلطانها ومجالسها التشريعية والقضائية، ولكلّ سلطان لقبه الخاص. وكانت السّلطنة تنقسم إلى ولايات مختلفة، على كلّ ولاية والٍ ذو نفوذ يكاد يجعله مستقلاً عن سلطانه، وكان يلقب بسلطان الإقليم.

ولم يكن الوئام معروفاً في العلاقات بين مختلف هذه الأقاليم والسلطنات، بل الحروب مستمرة والتنازع على العروش بين الأسر الحاكمة صار أمراً مألوفاً، إلا أن أمرين سجّلهما التاريخ لهذه الحقبة لم تختلف فيهما السلطنات، هما: الحكم بالشرعية الإسلامية، وكون اللغة العربية هي لغة البلد الرسمية التي كتبت بها المواثيق والمعاهدات والصكوك الإدارية كلها، قبل دخول المستعمر سنة ١٨٤١م، ولا جرم، فهذه الأسر الحاكمة جميعها من سلالات عربية صرفة<sup>(١)</sup>.

٢- مرحلة الاستعمار: إن الحروب والنزاعات التي شهدتها البلاد في المرحلة الأولى دفعت بعض السلاطين إلى طلب حماية الدّول الكبرى للمكهم، فتقدّم بعضهم إلى الإنجليز وبعضهم إلى فرنسا، وانتصرت فرنسا في الأخير، وصارت هي الحامي لجميع الجزر التي وقّعت معها اتفاقيات حماية، ثم تحوّلت هذه الحماية إلى استعمارٍ طويلٍ استغرق قرناً كاملاً.

٣- مرحلة ما بعد الاستقلال: وهي مرحلة قصيرة في عمر الدّول، ولكن القمريين شهدوا خلالها تقلّباتٍ عدة تملأ صفحات. فقد تعاقب على قيادة البلد حتى الآن سبعة رؤساء، وغُيّر دستور البلاد خلالها سبع مرّات<sup>(٢)</sup>.

---

(١) في عام ١٥٠٦م، احتلت جماعة من عرب شيراز بقيادة محمد بن عيسى جزيرة القمر الكبرى، وأرسل محمد هذا ابنه حسناً فنزل في جزيرة أنجوان وأسّس سلطنة، ولما توفي خلفه ابنه محمد الذي تزوج بابنة زعيم جزيرة مايوت، ثم ألحقها بسلطنته، ثم أضاف إليه جزيرة موهيلي أيضاً. وحدث فتنة وحرب بين الأشقاء في جزر القمر، وخلف محمد ابنه عيسى على جزيرة القمر الكبرى، وعندما توفي عيسى خلفته زوجته على السلطنة، ما أغضب الزعماء، ومات زعيم موتسامودو فخلفته زوجته فاتنة. كذلك تشير المصادر التاريخية إلى أن النباهنة العمانيين قد حكموا هذه الجزيرة لمدة ١٩٥ سنة، وذلك ابتداءً من تولي السلطان بوانا فوم النبّهاني الحكم عام ١٥٩٥م، وانتهاءً بعام ١٧٩٠م، كما تقلد صالح بن محمد المنذري مقاليد الحكم في مايوت من عام ١٧٩٠ إلى ١٨٠٧م. ينظر: الدكتور حامد كرهيل: العلاقات التاريخية بين الدولة البوسعيدية وجزر القمر، وصراع الحب والسلطة: السلطنة جومبيه فاطمة والتنافس العماني الفرنسي على جزيرة موهيلي.

(٢) سابعا: أقر بموجب استفتاء شعبي في ٣٠ يوليو ٢٠١٨م، بعد وضعه في جلسات حوار وطني في فبراير ٢٠١٨م.

وغير اسم البلد ثلاث مرات<sup>(١)</sup>، والعلم أربع مرات، والنشيد الوطني مرتين، وشهدت البلاد فيها ثلاثة أنظمة مختلفة، فمن النظام الاشتراكي إلى نظام ديكتاتوري إلى نظام ديمقراطي مستمر إلى الآن.

### الإسلام في جزر القمر:

اختلف الباحثون في تاريخ دخول الإسلام إلى جزر القمر، فمنهم من يرجّح أن ذلك كان في القرن الأوّل الهجري، ومنهم من يذهب إلى أنه تأخّر عن ذلك بعض الوقت، إلّا أنّ المتفق عليه أنّ المستعمر عند وصوله إلى هذا البلد وجد بلداً كلّ سكّانه مسلمون يتمذهبون بالمذهب الشافعي في حياتهم العامّة والخاصّة، واللغة الرسمية في البلد هي اللغة العربيّة.

وشعب جزر القمر كله مسلمون ١٠٠٪، سيّون على مذهب الإمام الشافعي في عباداتهم ومعاملتهم. وتنصّ الدساتير المتعاقبة في البلاد على أنّ الإسلام هو دين الوطن جميعاً، وهو مصدر جميع التشريعات التي تحكم البلاد<sup>(٢)</sup>.

## المطلب الثاني: التّعليم العربي والإسلامي في جزر القمر

كان الاهتمام بالتّعليم العربي والإسلامي في جزر القمر قديماً قدّم الإسلام فيها؛ إذ كان من شأن المسلمين الاعتناء بتعليم اللغة العربيّة والدين الإسلامي للبلاد المفتوحة أو التي يدخل أهلها طوعاً في الإسلام.

(١) بعد استقلال البلد سنة ١٩٧٥م سميت بـ«جزر القمر-Les Iles Comores»، ثم بعد ثلاث سنوات غُيّر إلى «جمهورية القمر الاتحادية الإسلامية-Republique Federal Islamique Des Comores». وبعد ستة وعشرين عاماً من الاستقلال حمل دستور ٢٠٠١م اسماً جديداً هو «جمهورية القمر المتحدّة-Union Des Comores».

(٢) بل نصّ دستور ٢٠١٨م على الإسلام السني، حيث جاء في ديباجة مقدمة هذا الدستور: PREAMBULE: Le peuple comorien affirme solennellement sa volonté de: -cultiver une identité nationale basée sur un seul peuple, une seule religion (Islam Sunnite) et une seule langue

وللتَّعليم العربي والإسلامي في جزر القمر أنماط عدة من المدارس، من أهمِّها:

## ١- الكتابي:

وهي أوَّل أنماط التَّعليم وأشهرها، يلتحق بها كلُّ الأطفال في جزر القمر، ويلتحقون في سنٍّ مبكِّرة جداً، وقبل الالتحاق بالمدرسة<sup>(١)</sup>.

وتركَّز الكتابي في جزر القمر على تعليم الأطفال القراءة والكتابة وقراءة القرآن وحفظ قصار السور، وتعليم مبادئ الإسلام.

ويتمُّ التَّعليم فيها بصورة تقليدية، فالمعلِّم هو كلُّ شيءٍ في هذه الكتابي، ولا يفتقر في الغالب إلى إعداد وتأهيل، فيكفي إتقانه للقراءة وقدرته على تلاوة القرآن الكريم.

وهذه الكتابي منها ما تكون خاصَّة بالأولاد، ومنها ما تكون خاصَّة بالبنات، ومنها ما تكون مختلطة من الجنسين معاً<sup>(٢)</sup>.

## ٢- حلقات التَّعليم في المساجد:

هذه الحلقات تُعقد في معظم المساجد في الفترة بين المغرب والعشاء، وغالباً ما تكون مخصَّصة لدراسة كتاب في الفقه الشَّافعي، أو كتاب في الأخلاق والتَّصوُّف.

(١) لم يكن يلتحق أيُّ طفل بالمدرسة قبل أن يوافق عليه المعلم في الكُتَّاب، وذلك حين استكمالهِ متطلبات الكُتَّاب؛ وقد يتأخَّر بعضهم عن الالتحاق بالمدارس النظامية بسبب تأخُّره في التَّعليم في الكُتَّاب؛ لكن الأمر الآن يختلف.

(٢) حظيت الكتابي باهتمام بالغ في القديم والحديث، وقد تبنَّت الدولة مؤخراً برنامجاً لتحسين الكتابي القرآنية بالوسائل الحديثة، ووضعتَه قيد التَّنفيذ في أرجاء البلاد، برعاية وإشراف وزارة التربية الوطنية، وبالتعاون مع منظمة اليونسيف للأمم المتحدة والطفولة. وفي ندوة علمية أقامتها كلية الإمام الشافعي بجامعة جزر القمر يوم الأربعاء ٠٥/٠٥/١٤٣٣هـ، الموافق ٢٨/٠٣/٢٠١٢م، حول هذا البرنامج، حضرها المختصُّون والمعنيُّون: أجمع الحضور على أنَّ أساس الفكرة في تحسين وضع هذه المدارس جيِّدة، لكن البرنامج أو المنهج المُعدُّ لتنفيذها بحاجة إلى ورشات عمل؛ لمراجعتِه وإعادة برمجته؛ لأجل المحافظة على رسالة الكتابي وأهدافها.

وقد تكون الحلقة لدراسة مجموعة كتب، لكل طالب أو مجموعة من الطلبة كتابٌ مستقل، يدرسونها تبعاً.

وقد كانت هذه الحلقات منتشرة في أرجاء البلاد انتشار الكتاتيب، ويلتحق بها الأطفال الذين هم في سنّ التمييز إلى الكبار.

وتُعقد في بعض المساجد التابعة لبعض المشايخ أو لبعض الطرق الصوفية - إضافة إلى هذه الحلقات - حلقات أخرى بعد صلاة الفجر، وربما أيضاً بعد صلاة العصر، أو غيرهما من المكتوبات؛ لدروس أخرى أو لفئة أخرى من الطلبة.

### ٣ - مدارس نهاية الأسبوع:

تقوم هذه المدارس على اغتنام إجازة نهاية الأسبوع، التي تكون يوم الأحد أو يومَي السبت والأحد، فتعطي دروساً في تعليم القرآن الكريم واللغة العربية والعلوم الشرعية. وهذه المدارس تقام للأولاد الذين يدرسون في المدارس النظامية الحكومية طوال الأسبوع، وربما أقيمت للكبار من الموظّفين أيضاً، أو للأمهات.

### ٤ - المدارس الموسميّة:

وأعني بها المدارس الخاصّة بموسم رمضان المبارك، حيث تقام في المساجد والجوامع عقب صلاة العصر من كلّ يومٍ دروسٌ في تفسير القرآن الكريم كلام الله عزّ وجلّ. وتشهد هذه المدارس إقبالاً وحضوراً كثيفاً من الشّباب والكبار، وتبثُّ مباشرة عبر وسائل الإعلام المسموعة والمرئية، بدءاً من إذاعة وتلفزيون الدولة إلى مختلف الإذاعات ومحطّات التلفزة الخاصّة.

ورائد هذه المدرسة هو صاحب السّماحة مفتي الجمهورية: السيّد محمّد عبد الرّحمن آل الشيخ أبي بكر بن سالم (المتوفى سنة ١٩٩٠م) رحمه الله<sup>(١)</sup>.

(١) ويذكر أنه كان للسيّد محمّد بن شيخ الملقّب بمعروف والسيّد علي مفاوي دروس في التفسير قبل المفتي، لكن في نطاق محدود.

وتقام دروس أخرى في هذا الموسم عقب صلاة التراويح، أو عقب صلاة الفجر، كما قد يضاف إلى التفسير تدريس الفقه الشافعي، وكذا الأخلاق والتَّصَوُّف.

ومن التعليم الموسمي في هذا الموسم المبارك: إقامة حلقات قراءة القرآن الكريم عقب صلاة التراويح في المساجد بالنسبة للرجال، وفي الكتاتيب ومصليات النساء بالنسبة للنساء، صغاراً وكباراً، حيث يختمون جزءاً من القرآن كل ليلة، يقرأ كل واحد منهم مقطعاً، وهم يتابعون القراءة في المصاحف، مع تصحيح المعلم ما قد يقع من خطأ في القراءة.

## ٥ - المدارس العربية والإسلامية:

وهي مدارس تُعنى بتعليم اللغة العربية والعلوم الشرعية والتاريخ الإسلامي، وبعض المقررات الأخرى.

ويمثّل هذا النمط من التعليم أكثر مؤسسات التعليم انتشاراً في جزر القمر وأوسعها تأثيراً في نشر اللغة العربية والعلم الشرعي، باعتبار تركيزها على هذا الجانب واعتنائها به.

### وهذه المدارس نوعان:

**الأول:** نوع شبه منظم، يقسم فيها الطلبة إلى مستويات حسب مستوى استيعابهم، ودرجات إدراكهم، وبها اختبارات، وليس بها غير المدير وهو المعلم، وهي مدارس غير معتمدة من قبل الدولة، ولا تمنح شهادات لخريجياتها<sup>(١)</sup>.

(١) برز هذا النوع في أواخر السبعينات، وزاد انتشارها كثيراً في الثمانينات إلى الألفية الثانية الميلادية، وما زالت موجودة بقلّة الآن. ومن أبرز هذه المدارس: المدرسة السلفية بموروني، للسيد محمد عبد الرحمن آل جمل الليل (المفتي الأكبر) (ت: ١٩٩٠)، ومدرسة فندي مويي علوي بمدي، لفندي شيخ سيد أحمد آل جمل الليل (ت: ١٩٨٦)، ومدرسة عبدالله درويش بموروني، لفندي إبراهيم محمد بن علي (ت: ١٩٨٩)، ومدرسة الفلاح بموروني، لفندي سيد عبدالله سيد أحمد آل الشيخ أبوبكر بن سالم (ت: ٢٠١٠)، ومدرسة الفتح بإيكوفي، لفندي محمد شريف بن أحمد آل جمل الليل (ت: ٢٠٠٦)، ومدرسة النجاح بموروني، لفندي سولي مولد (ت: ٢٠١٢).



**والثاني:** نوع منظّم تنظيمًا كاملاً، مرخّصة ومعتمدة من قبل الدولة، بها مستويات وفصول، ولها إدارة كاملة، وتمنح شهادات لخريجيه: ثانوية، أو متوسطة، أو حتى ابتدائية<sup>(١)</sup>.

## ٦- المدارس المزدوجة (فرنسية/عربية / Franco-Arabe):

وهي مدارس نظامية تقوم على تدريس الطلاب المقررات النظامية العامة باللغة الفرنسية، وتضيف إلى ذلك مقررات اللغة العربية والثقافة الإسلامية.

وقد نشأت فكرة هذه المدارس لحلّ الإشكالية القائمة من المدارس التي تعتمد لغة وثقافة واحدة. فقد كان التعليم النظامي في جزر القمر يعتمد بوجه عام على مسارين:

**الأوّل:** المدارس العربية والإسلامية - السّالفة الذكر-، وهي تدرس جميع موادها باللغة العربية، وبالقمريّة إذا دعت الحاجة إلى الترجمة، مع تدريس اللغة الفرنسية مادة دراسية بمعدّل ضعيف، وربما الإنجليزية كذلك.

**الثاني:** المدارس النظامية الحكومية: وهي تدرّس جميع موادّها باللغة الفرنسية، مع تدريس اللغة العربية والثقافة الإسلامية مادة دراسية بمعدّل ضعيف، والإنجليزية كذلك.

ونظراً لما قد يعانيه خريجو إحدى المدرستين من جهل بلغة المدرسة الأخرى؛ ولكون جزر القمر دولة عربية مسلمة ومستعمرة فرنسية سابقاً، وهي عضو في جامعة الدول العربية، وكذلك عضو في منظمة الدول الناطقة بالفرنسية (الفرنكفونية)، وتعد اللغتان الفرنسية والعربية لغتين رسميتين في الدولة، فقد وُجدت الحاجة إلى إيجاد مدارس تجمع بين اللغتين والثقافتين العربية والفرنسية؛ لحلّ هذه الإشكالية؛ وللتقارب بين الثقافتين، وتذليل الصعوبات التي قد يواجهها بعضهم في مواصلة الدّراسة في الجامعات العربية أو الفرنسية، أو صعوبات في ميدان العمل، فنشأ ما عرف بالمدارس الفرنس/عربية - Franco/Arabe.

(١) ومن هذا النوع: معاهد رابطة العالم الإسلامي الستة الموزعة في أنحاء جزر القمر، التي افتتحت عام ١٩٧٨م، ومدارس الإيمان بموروني، التي أسسها الشيخ صادق امبابانزا عام ١٩٨٥م، ومدرسة بث الأخلاق الإسلامية بأوسيفو، التي أسسها الشيخ محمد إسلام بوانا عام ١٩٨٢م.

وهذه المدارس كلها أهلية خاصة<sup>(١)</sup>، يدفع الملتحق بها رسوماً دراسية شهرياً أو فصلياً.

## ٧ - التعليم الجامعي:

التعليم الجامعي العربي والإسلامي في جزر القمر محدود جداً، لكنّه يمثل إنجازاً يستحقّ الوقوف عنده.

ورائدة هذا التعليم هي كلية الإمام الشافعي للعلوم الإسلامية والعربية، التي أنشئت عام ٢٠٠٢م بجهود بعض أبناء جزر القمر من خريجي الجامعات الإسلامية في العالم الإسلامي، وبخاصة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة<sup>(٢)</sup>، وبمباركة من كبار المسؤولين في الدولة<sup>(٣)</sup>.

وتعد كلية الإمام الشافعي نواة جامعة جزر القمر، وبعد إنشاء جامعة جزر القمر عام ٢٠٠٣م أضحت كلية الإمام الشافعي إحدى كليّاتها الأربعة المعتمدة حين افتتاح الجامعة.

وتوجد بهذه الكلية ثلاثة أقسام رئيسة، هي:

قسم الدراسات الإسلامية، وقسم اللغة العربية، وقسم التعليم المستمرّ وخدمة المجتمع.

وتمنح الكلية شهادة ليسانس (بكالوريوس) في الدراسات الإسلامية، وفي اللغة العربية، كما تمنح شهادة ماجستير في الدراسات الإسلامية<sup>(٤)</sup>، وشهادات حضور ومشاركة في الدورات، وقد فتحت مؤخراً برنامج ماجستير التربية<sup>(٥)</sup>.

(١) ومنها: المدرسة الفرنسية / العربية الخاصة EPFA بموروني امبويني، التي تأسست عام ١٩٩١م،

ومدرسة عمر بن الخطاب الفرنسية / العربية الحديثة EMFAO بمدي، التي تأسست عام ٢٠٠٤م.

(٢) ومن أبرز المؤسسين لهذه الكلية: الدكتور سعيد برهان عبدالله - عميد الكلية - خريج الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، والدكتور محمد ذاكر حسن سقاف، خريج جامعة أم درمان. والأستاذ محمد شيخ علي، خريج الجامعة الإسلامية، وجامعة أم القرى، وغيرهم.

(٣) وعلى رأسهم: فخامة رئيس الجمهورية العقيد عثمان غزالي، وسماحة مفتي الجمهورية السيد طاهر بن سيد أحمد مولانا جمل الليل.

(٤) تخرّجت الدفعة الأولى من حملة الماجستير في هذا القسم عام ٢٠١١م.

(٥) وذلك في العام الدراسي ٢٠١٧-٢٠١٨م، ولا تزال الدفعة الأولى من طلبة هذا البرنامج في عامها الثاني.

ويدرس بهذه الكلية ما يزيد على ٣٥٠ طالباً جامعياً منتظماً، غير طلبة قسم التعليم المستمر وخدمة المجتمع.

## المطلب الثالث: أثر التعليم العربي والإسلامي في المحافظة على الهوية في جزر القمر وصياغتها

لقد أسهمت مدارس التعليم العربي والإسلامي في جزر القمر في الحفاظ على الهوية الإسلامية والعربية في أنحاء البلاد، بدءاً بالكتاب وانتهاءً بالجامعة.

فقد خرجت هذه المدارس أجيالاً كانوا يتمتعون بصفات المسلم المتدين، حيث تخرج منها علماء فضلاء، غالباً ما يصبحون معلمين وأئمة مساجد وخطباء جمعة ودعاة ومصلحين وقضاة ونواب قضاة.

ويتمتع الخريج إضافة إلى كل ذلك بقدر عالٍ من الأخلاق الحسنة والصفات الحميدة: كالصدق، والأمانة، والتواضع، وحسن الخلق، والهيبة والوقار.

وقد يواصل بعضهم دراسته في المراحل العليا باللغة الفرنسية، وربما أكمل ذلك في فرنسا أو غيرها؛ لكن يبقى أثر محصلته العلمية في المراحل الأولى من الكتاب والمدارس في شخصيته وأخلاقه وتدينه وحسن قراءته للقرآن، بحيث يتميز عن غيره ممن لم ينل قسطاً من التعليم الأولي العربي والإسلامي.

وقد كان خريج الكتاب يجيد نوعاً من الكسب يترزق به، غالباً ما يكون الزراعة والرعي، وقد يكون نوعاً آخر من الحرف اليدوية كالخياطة والنجارة.

وفي الجملة، فلقد أسهم التعليم العربي والإسلامي في جزر القمر في المحافظة على الهوية العربية والإسلامية فيها، وتمثل ذلك في تحقيق منجزاتٍ عدة، منها:

## ١ - نشر اللغة العربية:

اللغة العربية أساس فهم الدين الإسلامي، ومن خلالها يفهم المسلم القرآن والسنة، ويستطيع التواصل مع مصادر العلم الشرعي والثقافة الإسلامية.

كما يستطيع المسلم الذي يفهم العربية التواصل مع العلماء والدعاة الذين يقدون إلى البلد من الدول العربية والإسلامية الأخرى والاستماع لخطبهم وأحاديثهم. وكذلك التواصل مع غيرهم من الوفود العربية الرسمية منها وغير الرسمية، وتبادل المصالح المشتركة.

وتشارك مؤسسات التعليم العربي والإسلامي في جزر القمر - بأنواعها السالفة الذكر- في الاعتناء بتعليم اللغة العربية للمتبعين إليها من خلال دروس تعليم اللغة العربية وموادها، إضافة إلى تعليم العلوم الشرعية باللغة العربية.

وقد أدى هذا الجهد إلى بقاء اللغة العربية لغة حية في جزر القمر، بل لغة رسمية أخرى حسب دستور الدولة وأنظمتها.

ولقد كانت اللغة العربية هي لغة البلد الرسمية التي كتبت بها المواثيق والمعاهدات والصكوك الإدارية كلها قبل دخول المستعمر إليه سنة ١٨٤١م، ويؤكد ارتباط جزر القمر بالعربية منذ القدم جميع الوثائق التاريخية لهذا البلد التي كتبت باللغة العربية؛ حتى إننا إذا نزعنا الوثائق التاريخية المكتوبة باللغة العربية لابقى ثمة تاريخ يعتد به لجزر القمر<sup>(١)</sup>.

## ٢ - نشر العلوم الشرعية:

أسهم التعليم العربي والإسلامي في جزر القمر في نشر العلوم الشرعية بين أبناء هذا الوطن، وأهمها: القرآن الكريم قراءةً وتجويداً وتفسيراً، والفقه الشافعي، إضافة إلى العلوم الشرعية الأخرى، كالتوحيد، والحديث، والأخلاق، والتصوف.

(١) ولا جرم، فلقد كانت الأسر الحاكمة لسلطنات جزر القمر جميعها في تلك الحقبة من سلالات عربية صرفة، ويأتي الأصل العربي في المرتبة الثانية بين الأصول العرقية المكونة لشعب جزر القمر. ينظر: الدكتور حامد كرهيل: العلاقات التاريخية بين الدولة البوسعيدية وجزر القمر، وصراع الحب والسلطة: السلطنة جومبيه فاطمة والتنافس العماني الفرنسي على جزيرة موهيلي.

### ٣ - الحفاظ على الهوية:

لقد حافظ التعليم العربي والإسلامي في جزر القمر بقوة على هويّة هذا الشعب، وأسهم في ثبات هذا الشعب على دينه وعقيدته الإسلامية، رغم الاستعمار الذي دام قرابة مئة وخمسين سنة، وجهوده الخبيثة في طمس الهوية ومحاولة التغريب والتنصير بشتى الطرق والوسائل.

مضى الاستعمار، ونال جزر القمر استقلاله عام ١٩٧٥م، ولم تفلح جهود غير المسلمين في ارتداد مسلم واحد عن دينه، ولا في بناء كنيسة واحدة في جزر القمر.

### ٤ - إعداد طائفة من أبناء البلد للدراسات الإسلامية المتخصصة:

لقد أسهم التعليم العربي والإسلامي في جزر القمر في إعداد طائفة من طلبة العلم وتأهيلهم لمواصلة دراستهم والتعمق والتخصّص في الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات العربية والإسلامية، فقد تخرّج في الجامعات الإسلامية - كالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وجامعة الأزهر بالقاهرة - عددٌ من أبناء جزر القمر، جلّهم من مخرجات مؤسسات التعليم العربية والإسلامية في جزر القمر.

وقد كان لهؤلاء - ولا يزال - أثرٌ بالغ في نشر العلم الشرعي والدعوة إلى الله بعد عودتهم إلى وطنهم؛ فمعظم الدعاة البارزين، وقادة الجمعيات والمؤسسات الإسلامية، والقائمين على المدارس العربية والإسلامية ومؤسسات التعليم الشرعي والتعليم العالي، وغير ذلك من مؤسسات الدولة والمجتمع، هم من خريجي الجامعات العربية والإسلامية.

### ٥ - إعداد طائفة من أبناء البلد للدراسات العلمية والتطبيقية:

أسهم التعليم العربي والإسلامي في جزر القمر في إعداد وتأهيل طائفة من أبناء البلد للتخصّصات الأخرى غير الشرعية في الجامعات العربية في الدول العربية. فلقد تخصّص بعض أبناء جزر القمر في الجامعات العربية في مصر، والسعودية، وسوريا، والسودان،

والإمارات، وليبيا، والمغرب، وغير ذلك من الدول العربية في تخصصات علمية، وأخرى تطبيقية: كالعلوم، والاقتصاد، والطب، والهندسة، والشرطة والعسكرية.

وكان لهؤلاء بعد عودتهم إلى الوطن أثر في خدمة وطنهم وشعبهم في كثير من مؤسسات الدولة الحكومية والأهلية في جزر القمر، معتدين بلغتهم العربية وثقافتهم الإسلامية.

## المطلب الرابع: التّحدّيات التي تواجه المحافظة على الهوية في جزر القمر وسبل مواجهتها.

بالرغم من الجهود التي بذلت - ولا تزال - في التعليم العربي والإسلامي من أجل المحافظة على الهوية في البلاد، إلّا أن هنالك تحدّيات وصعوبات كبيرة تواجه مسيرة الحفاظ على هذه الهوية في هذه الأزمنة الأخيرة، من أبرزها:

### ١- جهود الأعداء لطمس هذه الهوية والتوجيه نحو التغريب:

إنّ أعداء الإسلام يبذلون جهوداً مضاعفة؛ مادية ومعنوية، لمحاولة طمس الهوية العربية الإسلامية في جزر القمر، ويسلكون شتى الطرق، ويستخدمون كل الوسائل وتحت مسميات مختلفة، من أجل توجيه الناس والشباب خاصّة نحو التغريب.

### ٢- سيطرة العولمة والثقافة الغربية:

تعد سيطرة العولمة والثقافة الغربية في هذا العالم تحدياً كبيراً يتطلب بذل الجهود وتنويع الوسائل من أجل الحفاظ على الهوية، وتطوير محتوى مقررات الثقافة الوطنية والإسلامية لمواجهة الغزو الثقافي والفكري.

وتشهد البشرية اليوم ظاهرة عالمية غريبة تُسمّى (العولمة)، تسعى لتوحد فكري وثقافي واجتماعي واقتصادي وسياسي؛ تحمل تحدياً قوياً لهوية الإنسان العربي المسلم خاصّة، بما يستهدف الدين والقيم والمثل والفضائل، وذلك من خلال التركيز

على الناحية الثقافية وتوظيف وسائل الاتصال ووسائل الإعلام والشبكة المعلوماتية (الإنترنت) والتقدم التكنولوجي بشكل عام لخدمة ذلك، ما حوّل العالم إلى قرية صغيرة كما يقولون، فلم يعد هناك أي حواجز جغرافية تاريخية سياسية أو ثقافية، وأصبح العالم يخضع لتأثيرات معلوماتية وإعلامية واحدة تحمل قيماً مادية وثقافية ومبادئ لا تتلاءم مع قيمنا ومبادئنا؛ منافية للدين الإسلامي، كما أنّ هناك توجّهاً استهلاكياً مفرطاً نحوها، دون وعي أو تمييز لنوعية المادة المستهلكة وتأثيرها في تربية وثقافة الأفراد المستهدفين، تحت تأثير إغراء لا يقاوم من التدفق الصوري والإعلامي المتضمن انبهاراً يستفز ويستثير حواس ومدارك الأفراد، بما يلغي عقولهم ويجعل الصورة التي تحطم الحاجز اللغوي هي مفتاح الثقافة الغربية الجديدة الذي تستهدفه العولمة، الأمر الذي يدعو إلى ضرورة وسرعة مقاومة ذلك الغزو؛ لحماية الهوية الثقافية العربية والإسلامية، والعناية بالتربية والتعليم في مختلف مستوياتهما وأشكالهما هي الحصن المنيع.

إنّ أثر وسائل الإعلام الأجنبية المرئية والمسموعة والمقروءة؛ وتصفّح أبنائنا للشبكة المعلوماتية دون تمييز وتمحيص في ظل مخرجاتها المبهرة، نتجت عنه سلوكيات غريبة على مجتمعنا، وظهرت عادات وتقاليد وثقافات وممارسات سلوكية خطيرة في مجتمعنا مخالفة لديننا الإسلامي، كطقوس الأفراح وصرخات الموضة والأعياد المستحدثة (عيد الحب - عيد العمّال - عيد الميلاد - ...)، وتقليد الفنانين والفنانات وصولاً إلى النجومية.

إنّ فكرة (عولمة الثقافة) خطيرة جداً على هذه الأمة؛ لأنّ فحواها ومحتواها طمس الخصوصية الإسلامية، وإشغال الأمة المسلمة بما لدى الأمم الغربية والأمريكية على وجه الخصوص من ثقافات جديدة، وإغراقهم في المستنقع الثقافي لما يسمّى بالقرية الكونية.

فنحن - بوصفنا مسلمين - يلزمنا أن نحذر من ذلك ونكون أشدّ إصراراً على المحافظة على هويتنا وخصوصياتنا وقيمنا، وعدم التشبّه والاقتداء بأعداء الإسلام، كيف ورسولنا صلّى الله عليه وسلّم حذّرنا من ذلك بقوله: (مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ)<sup>(١)</sup>.

(١) رواه أحمد وحسنه الحافظ ابن حجر.

### ٣- تحدّي الجالية القمرية في فرنسا:

ومن أكبر التّحديات التي تواجه مسيرة الحفاظ على الهوية العربيّة والإسلاميّة في جزر القمر تحدّي الجالية القمرية المقيمة في فرنسا، حيث يقطن في فرنسا وحدها قرابة ٣٠٪ من مجموع سكّان جزر القمر، للدراسة أو العمل. هذه الجالية تذهب وترجع في الإجازات والمناسبات متشبّعين بالأفكار الغربيّة والسُّلوك الفرنسي، ما يؤثّر ولاشكّ في المجتمع، لكونهم رموزاً للحضارة والتّطور، ومحلّ القدوة والأسوة، إضافةً لما يملكونه من أسباب الحياة الماديّة الكريمة.

### أهمّ سبل مواجهة التحديات والمحافظة على الهوية في جزر القمر

إنّ من أهمّ سبل مواجهة التّحديات والإسهام في المحافظة على الهوية العربيّة والإسلاميّة في جزر القمر وضمان ثباتها واستقرارها ما يأتي:

#### ١- تعميق الإيمان بالله عزّ وجلّ:

إنّ تعميق الإيمان بالله تعالى له أثر كبير في تحصين القلب ضدّ الأفكار الهدّامة، فأوّل ما ينبغي أن نبدأ به من هذا الجهد هو تصحيح منهج التلقّي، من أين نتلقّى فهمنا لهذا الدّين؟ من كتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وسلم، وسيرة السّلف الصّالح رضوان الله عليهم. فكانت العناية بترسيخ العقيدة الإسلاميّة ودراستها وبيان ما يضادّها، إلى جانب التّعليم الشّرعي والتّفقه في الدّين، هي اللبنة الأولى للمحافظة على الهوية العربيّة والإسلاميّة في جزر القمر.

#### ٢- التربية على المفاهيم الصّحيحة لهذا الدّين:

إذا صحّحنا منهج التلقّي، وصحّحنا بناءً على ذلك ما انحرف في المسلم من مفاهيم الإسلام الرئيسيّة، بقيت علينا مهمّة أخرى لا تقل خطراً عن سابقاتها وهي مهمّة التربية على المفاهيم الصّحيحة لهذا الدّين. والتربية هي الجهد الحقيقي الذي تُرجى معه الثمرة، ولكنه لن يؤتي ثمرته حتى يقوم على أساسه الصّحيح.



### ٣- تعميق التعليم العربي والإسلامي وتعميمه في جميع المراحل التعليمية:

يجب السعي في تعميق التعليم العربي والإسلامي وتعميمه في مراحل التعليم كافة، وكذلك تعليم بعض المواد الأساسية في المراحل الجامعية مقارنةً بما في الفقه الإسلامي، وإبراز اهتمام الدين الإسلامي بهذه العلوم والمعارف قبل اهتمام الغرب بها.

وقد بلغنا عن بعض المسؤولين أنَّ هنالك مشروعاً لتعميق هذا التوجُّه في هذا البلد بتعميم تعليم اللغة العربية والتربية الإسلامية في جميع المراحل الدراسية النظامية، أُعدَّ ذلك المشروع من قِبَل وزارة التربية والتعليم، ونحن نشكر القائمين على هذا المشروع ونرجو منهم المسارعة في العمل به؛ نظراً للحاجة الماسة إلى المحافظة على الهوية العربية والإسلامية في جزر القمر.

### ٤- الاهتمام بالتعليم المعاصر:

إنَّ أهمية التعليم مسألة لم تُعدَّ اليوم محلَّ جدلٍ في أيِّ منطقة من العالم، فالتجارب الدولية المعاصرة أثبتت - بما لا يدع مجالاً للشك - أن بداية التقدم الحقيقية بل والوحيدة هي التعليم، وأنَّ كلَّ الدول التي تقدَّمت تقدَّمت من بوابة التعليم، بل إنَّ الدول المتقدمة نفسها تضع التعليم في أولوية برامجها وسياساتها.

ويُتَّسم العصر الحالي بالتفجُّر المعرفي والتكنولوجي، وانتشار نظم الاتصالات والاستعمال المتزايد للحاسوب، والتوسُّع في استخدام شبكة الإنترنت، الأمر الذي جعل العالم قرية كونية إلكترونية. وقد بدأت الدول تشعر بالأهمية المتزايدة للتربية المعلوماتية ولمحو أمية الحاسوب من خلال توفير بيئة تعليمية وتدريبية تفاعلية تجذب اهتمام الأفراد في عصر يتميز بالتطور المتسارع والتغير المستمر.

وتعد مواكبة التطورات المتلاحقة في تقنيات المعلومات والتعامل معها بكفاءة ومرونة من أهمِّ التَّحديات التي تواجه المسلم القمري المعاصر.

## ٥- تدريب القائمين على العملية التعليمية:

إن إقامة دورات علمية وتدريبية للمعلمين، وبخاصة معلّمي اللغة العربية والتربية الإسلامية، في مجالات علم النفس وطرق التدريس، وكذا تطوير نظم التدريس باستخدام الوسائل الحديثة، أمرٌ ضروري؛ لأنّ بعض المعلمين؛ برغم ما عنده من علم وفير، قد يجهل طرق إيصال هذا العلم إلى طلابه وأبنائه، وينتج عن ذلك إعراض في نفوس الطلاب وشعور بعدم قدرته العلمية، والحال ليست كذلك. لذا؛ لا ينبغي إغفال هذا الجانب من المهتمين بشأن التربية والتعليم، وإجراء دورات تدريبية تربوية للكوادر القمرية (معلمين وأساتذة جامعة) داخل الوطن أو خارجه، بغية تطوير جودة التعليم.

## ٦- تقوية البحث العلمي:

ومن الوسائل التي تعين في المحافظة على الهوية في جزر القمر تقوية البحث العلمي، وتشجيع العلماء والباحثين والدعاة لإعداد بحوث علمية باللغة العربية، كلٌّ في مجال تخصصه.

وفي سبيل تفعيل ذلك؛ لابدّ من إقامة مكتبة عربية إسلامية عامّة، تكون مرجعاً للباحثين والطلبة، وتزويدها بأهمّات المصادر والمراجع العربية والإسلامية، وتجهيزها بأرقى وأحدث وسائل التكنولوجيا الحديثة، مثل الكمبيوتر ومستلزماته، والإنترنت، وبالكوادر البشرية المؤهلة والمدربة، وغير ذلك؛ لتحقيق أكبر فائدة ممكنة للباحثين والرّواد في إثراء المعرفة العلمية والبحث العلمي.

## ٧- الاتجاه نحو التعليم المهني والحرف اليدوية:

وتتطلب هذه المرحلة أيضاً تنمية الاتجاه نحو التعليم المهني والحرف اليدوية؛ لاكتساب مهارات العمل الأساسية، لسدّ حاجة الفرد واعتماده على نفسه. وهذا جانب يكاد يكون مفقوداً في التعليم في جزر القمر، لاسيما التعليم النظامي، وهو جانب تعليمي مهمٌ لا يقلُّ أهمية عن الجوانب الأخرى.

## ٨ - خلق بُنية تعليمية متكاملة:

إنَّ المحافظة على الهوية من خلال التعليم تتطلب خلق بنية تعليمية متكاملة، يبني الطالب من خلالها خبراته التَّعليمية عن طريق تعليمه كيفية استخدام جميع مصادر المعرفة، وجميع وسائل التكنولوجيا المساعدة؛ لذا يجب تجهيز المدارس والجامعات بالوسائط المتعددة، ومعامل العلوم المتطورة، وقاعة استقبال بث القنوات التعليمية، ومن ثم تدريب أعضاء هيئة التدريس في مراكز التدريب التخصصي، ومعامل العلوم المتطورة، والتعليم عن بُعد، فيما صار يعرف باسم مدرسة بلا أسوار (Wall-less School)، أو مدرسة المستقبل (Future School)، أو المدرسة الذكية (Smart School)، أو التعليم الإلكتروني.

وهنا يأتي دور المنظَّمات العربيَّة والإسلامية؛ الحكومية منها والأهليَّة، إذ ينبغي أن تساند هذا البلد بالأفكار والخطط والخبرات، وبالمعدات وإعداد الكوادر البشرية، وتُأصيل سبل التعاون مع هذا البلد، الذي يعد وسيطاً أو جسراً لترسيخ القيم الإسلاميَّة والعربيَّة في دول المحيط الهندي وشرق أفريقيا.

## الخاتمة

إنَّ المحافظة على الهوية ضرورة لكل أمة تريد أن تصنع لنفسها الكينونة والخصوصية التي تتسم بها<sup>(١)</sup>، وهوية هذه الأمة وخصوصيتها نابعة من استقلاليتها التشريعية والعقائدية والسلوكية عن غيرها من الأمم الأخرى؛ ولهذا كانت الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس، كما قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

إنَّ المحافظة على الهوية العربية والإسلامية لجزر القمر تحتاج إلى تعهدها بالرعاية الكاملة، تربيًا وثقافيًا وعلميًا وفكريًا، حتى تبقى هذه الهوية بمنأى عن المؤثرات الضاغطة التي تهدد الوجود المعنوي لها، وتضعف فيها المناعة الثقافية والأخلاقية، فتصبح فريسة الضياع والانحراف والتهيه.

والله نسأل أن يحفظ أمننا ووطننا، ويحفظ لنا ديننا وشريعتنا وهويتنا... إنه سميع مجيب.

(١) يرى كثير من الناس ما وصلت إليه اليابان من قوة تقنية وصناعية لا ينكرها منكر، ويعرف كثير من المثقفين أنَّ اليابانيين حين ضربتهم أمريكا بالقنبلة النووية ودمَّرت ناجازاكي وhiroshima، رأوا أنَّ من أسباب ضعفهم عدم قدرتهم على مواجهة الأمريكان، وقلَّة المعلومات التقنية التي لديهم؛ فأرادوا تحقيق المناعة واستقطاب المعلومات التي يجهلون، فأرسلوا البعثات للتعلم في بلاد الغرب والنهل من علومهم الطبيعية حتى يرجعوا إلى اليابان وينقلوا إلى أرضها تلك التجارب الغربية الطبيعية، فتنهض دولتهم. وحين بعثت أول بعثة يابانية إلى دول الغرب رجعوا إلى بلادهم متحللين من مبادئهم، ذائبين في الشخصية الغربية، فما كان من اليابانيين إلَّا أن أحرقوهم جميعاً على مرأى من الناس في طوكيو، ليروا عاقبة من تنكَّر لأَمَّتِه وقيمه ولم يرغ المسؤولية التي أنيطت به. وبعد ذلك أرسل اليابانيون بعثة أخرى، وأرسلوا معها مراقباً يراقبهم من ناحية ثباتهم على عقيدتهم وخصوصياتهم البوذية، ومن ناحية انهماكهم في استقطاب واجتذاب المعلومات التي يجهلون لينقلوها في واقع بلادهم، وتمضي الأيام وتصير اليابان من أكبر الدول التقنية في العالم أجمع، بل والمنافسة والمساوقة لأمريكا وأوروبا في كثير من التخصصات التقنية.. أليس في هذه القصة درس وعبرة بما يفعله الآخرون من غير المسلمين في الحفاظ على هويتهم، ومع ذلك وصلوا ونجحوا، وذلك لمحافظةهم على الخصوصية والهوية الخاصة بهم، فأولى بنا وبالأمة المشهود لها بالخيرية والوسطية بأن يكون أبنائها خير أناس يحافظون على هوية الأمة الإسلامية، ويرعوا هويتهم حق رعايتها!

## بعض مراجع المادة:

- ١- أهميّة التعليم في الحفاظ على الهوية الإسلامية: د. بدرين ناصر البدر.
- ٢- التّعليم الإسلامي العربي في أفريقيا: محمد بن عبدالله الدويش.
- ٣- دور المؤسسات التعليمية في المحافظة على الهوية الثقافية للطفل العربي في ظل تحديات العولمة: د. يوسف بن محمد الثويني.
- ٤- التّعليم والهوية الثقافية في زمن العولمة: المجلس الأعلى للتعليم بدولة قطر.
- ٥- تغريب التعليم: خط الهجوم الأول ضد الإسلام: محمد الغباشي.
- ٦- روح التربية والتعليم: محمد عطية الأبراشي.
- ٧- تطوير المناهج الدراسية بين الواقع والتطلعات: د. محمد بن معجب الحامد.
- ٨- التدريس الفعال: د. أحمد حسين اللقاني.
- ٩- المناهج الدراسية بين النظرية والتطبيق: د. حسن شحاتة.
- ١٠- تطوير التعليم في عصر العولمة: د. إبراهيم مجدي عزيز.

تم تحريرها مساء يوم الجمعة ١٤/٠٥/١٤٣٣هـ، الموافق ٠٦/٠٤/٢٠١٢م،

بمدي - بمباو - جزر القمر

الباحث: د. سيد عبد الله سيد أحمد جمل الليل

عنوان إلكتروني: djamaloulayil1@yahoo.com

# المبحث الثاني

## مؤسسات التعليم الإسلامي في جزر القمر

إعداد سعيد برهان عبدالله

عضو هيئة التدريس بجامعة جزر القمر

موسسة اللغة العربية

اللغة العربية في جزر القمر



## المقدمة

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وإمام المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن مما ميز الله به هذا الدين الحنيف أنه دين العلم والمعرفة، فقد كانت أول آية نزلت من السماء قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿١﴾ لذلك اهتم المسلمون منذ فجر الإسلام بالعلم والتعليم؛ فعكفوا على كتاب الله حفظاً وتفسيراً، وجمعوا سنة رسول الله وشرحوها، وعقدوا المجالس لروايتها وضبطها، وتعاقبت الأجيال في نقل هذا العلم كابرًا عن كابر في كل أصقاع الدنيا، فظهرت المدارس العظيمة والمذاهب الفقهية المشهورة، وكذلك الأسانيد التي تدل على هذا التسلسل في نقل هذا العلم وتوريث السابق لللاحق.

ولم تكن جزر القمر بمنأى عن هذا المنهج، فقد اهتم علماؤها بنشر العلم الشرعي بين الناس تعليمًا وإفتاءً وتأليفًا، حتى في عصور الاستعمار المظلمة، فبرز علماء أجلاء أسسوا المدارس العلمية التي كان يقصدها أبناء الشعب من المدن والقرى؛ لتلقي العلم الشريف وتعلم اللغة العربية لغة القرآن والحضارة. والحديث عن جهود هؤلاء العلماء الأجلاء ذو شعب شتى، وإنما اخترت الحديث عن المؤسسات العلمية التي أسهمت في نشر العلم الشرعي واللغة العربية منذ عهد الاستعمار إلى يومنا هذا.

### واخترت هذا الموضوع لسببين:

**الأول منهما:** اهتمامي الشخصي بهذه المؤسسات ومعايشتي لها إنشاءً لبعضها وعملاً وإشرافاً ورعايةً لبعضها الآخر، منذ تخرجي وعودتي إلى جزر القمر قبل ما يقارب ثماني عشرة سنة.

(١) سورة العلق آية ١-٢



**والثاني:** أهمية هذه المؤسسات والدور الذي تؤديه في تنمية المجتمعات الأفريقية ودفع عجلة نموها، الأمر الذي يحتاج إلى أن يبرز ليشجع ويدعم؛ حتى تحقق الأهداف النبيلة التي أُسست لأجلها، فنجاح هذه المؤسسات وتقدمها هو الضمان الحقيقي لتطور هذه المجتمعات ورفقها المستمر. وكل ما يسهم في نهضتها من رأي أو دعم مادي أو معنوي أمر جدير بالاهتمام.

وتشتمل هذه الورقة على هذه المقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة على النحو الآتي:

### التمهيد: يبين ثلاث نقاط:

النقطة الأولى: المراد بالتعليم الإسلامي في هذه الورقة.

النقطة الثانية: نبذة تعريفية موجزة ببلد الدراسة (جزر القمر).

النقطة الثالثة: تاريخ التعليم الإسلامي في جزر القمر

### أما مباحثها الثلاثة فهي:

**المبحث الأول: مؤسسات التعليم الإسلامي أثناء الاستعمار، وتحت أربعة مطالب:**

المطلب الأول: المدرسة السلفية للعلامة السيد محمد بن عبدالرحمن رحمه الله مفتي الجمهورية السابق.

المطلب الثاني: مدرسة الفتح للسيد محمد شريف بن أحمد ياكوبي.

المطلب الثالث: مدرسة الفلاح للسيد هادي بن أحمد الهدار بمروني.

المطلب الرابع: مدرسة النور للشيخ حسن علي مزي بمفوني.

وهذه المدارس الأربعة تمثل أحسن نماذج التعليم الإسلامي في هذه المرحلة.

**المبحث الثاني: مؤسسات التعليم الإسلامي العام (قبل الجامعة) بعد الاستقلال،  
وتحت سبعة مطالب:**

المطلب الأول: التعريف بها وحصر لأبرزها.

المطلب الثاني: مراحل تطورها ومقراتها وتوزيعها في الجزر.

المطلب الثالث: مناهجها ومستويات التعليم فيها.

المطلب الرابع: وضعها من حيث كونها أهلية أو رسمية.

المطلب الخامس: مخرجاتها.

المطلب السادس: العوائق التي تواجهها.

المطلب السابع: الشهادة الثانوية الشرعية.

**المبحث الثالث: مؤسسات التعليم الإسلامي العالي بعد الاستقلال، وتحت مطلبان:**

المطلب الأول: التعليم العربي والإسلامي في معاهد الدولة العليا.

المطلب الثاني: كلية الإمام الشافعي للعلوم الإسلامية والعربية.

ولقد اقتصر على أهم مؤسسات التعليم الإسلامي في البلاد أعرف بها حسب  
النقاط السابقة، مستعيناً بالإحصاءات المتوافرة في كل مؤسسة منها وفي الجهات التي  
تستفيد من مخرجاتها، سواء أكانت إحصاءات دقيقة أو تقريبية، لتعطي الصورة الحقيقية  
أو شبه الحقيقية لهذه المؤسسات ودورها في خدمة البلاد، والمستوى الذي وصلت إليه.  
وأختم بالتوصيات التي ستسهم في تطوير هذه المؤسسات وتزيل عنها العراقيل  
والعقبات بإذن الله تعالى.

هذا؛ وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

## التمهيد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه  
أجمعين، أما بعد:

فقبل أن أتناول التعريف بأهم مؤسسات التعليم الإسلامي في جزر القمر حسب  
النقاط الموضحة في المقدمة، أمهد هنا لذلك بثلاث نقاط أحسبها مفصلة؛ ليفهم  
القارئ الكريم ما سيأتي في الحديث عن تلك المؤسسات.

النقطة الأولى: تحديد المراد بالتعليم الإسلامي في هذه الورقة.

النقطة الثانية: تعريف موجز ببلد الدراسة خاصة في الجوانب المتعلقة بالتعليم الإسلامي.

النقطة الثالثة: تاريخ التعليم الإسلامي في البلد في أبرز مراحلها.

ثم بعد ذلك يأتي الحديث عن هذه المؤسسات، والله المستعان.

### النقطة الأولى: التعليم الإسلامي - ما المراد به هنا في هذه الورقة؟

مصطلح التعليم الإسلامي يحتمل أموراً كثيرة ومرادفات مختلفة، فقد يطلق ويراد  
به تعليم الناس العلوم الشرعية التي تُستقى مباشرة من الوحي الذي نزل من السماء  
على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وقد يطلق ويراد به تعليم جميع العلوم الكونية  
بالمَنظور الإسلامي، كما كان الحال عند سلفنا الصالح الذين بحثوا في كل العلوم العقلية  
منها والتطبيقية والشرعية لخدمة الدين الإسلامي. فلما اهتموا بالحساب كان غرضهم  
الاستجابة لكثير من مسائل الدين التي تتوقف على معرفة الحساب كالزكاة والفرائض  
وتقسيم الأراضي العشرية وأخذ الخراج ونحو ذلك، ولما بحثوا في النجوم كان الهدف  
الاهتداء إلى القبلة ومعرفة السير إلى الحج ومعرفة طرق أسفارهم في التجارة والجهاد ونحو  
ذلك، فقد يشمل مصطلح التعليم الإسلامي تعليم الناس جميع العلوم لتحقيق هذه  
الأهداف مع الاهتداء بما ورد في الوحي من نصوص موجهة أو مشيرة إلى أصول هذه العلوم.

## لكن ماذا نقصد بالتعليم الإسلامي في هذه الورقة؟

الحقيقة أن المشكلة التي نريد علاجها - فيما يظهر لي والعلم عند الله - هي المشكلة التي سأتناولها هنا والتي تتعلق بالعلوم الإسلامية المرتبطة مباشرة بالوحي، وهذا المفهوم الذي أسير عليه.

### وهو تحديد مبرر بأمور:

أولاً: إذا أطلق لفظ العلم في تراثنا الإسلامي فالمقصود المباشر هو العلم بالله وبشرعه وبرسوله، وإذا ذكر العلماء مطلقاً فهم علماء الشريعة، وإذا قُصد غيرهم لا بد من التقييد حتى يُفهم كعلماء اللغة وعلماء الفلك وهكذا.

ثانياً: لما تغير نظام التعليم في عالمنا الإسلامي وبدأ الناس يهتمون بالعلوم الكونية وفق المناهج المستوردة، صارت هذه العلوم هي التي يُعنى بها ويُطلق عليها كلمة العلم، وقلّ اهتمام الناس بالعلم الأول وتراجعت الأمة في هذا المجال وما كان ينبغي لها ذلك، مع تأكيد شديد لأهمية هذه العلوم المعاصرة، فهنا نبحت عن الطرق الصحيحة التي تجعلنا نكتسب الجديد دون أن نفقد العتيق. لذا أركز على هذا المفهوم؛ لأنه يحتاج إلى دراسة وضعه في الماضي كيف كان وفي حاضره كيف نراه، وماذا ينبغي أن نخطط لمستقبله؟

ثالثاً: أن هذه العلوم الإسلامية بالمصطلح المتفق عليه هي أساس كثير من العلوم، ومفتاح الرقي في العلوم الأخرى المستحدثة، فبال تجربة والمشاهدة يلحظ أن الطفل الذي حفظ القرآن في صباه ونال حظاً من التعليم الإسلامي في بداية عمره يتفوق في دراسته أكثر ممن لم ينشأ تنشئته، ما يدعونا إلى البحث عن السبل الجيدة للسماح لأبنائنا بنيل قسط جيد من هذه العلوم قبل أن يوجهوا إلى أي تخصص يختارونه. فالإنسان الذي نسعى إلى إنشائه ينبغي أن يعتز بدينه ويفهم أولوياته قبل أن يفتخر بمهنته، ولا يكون ذلك إلا بتنشئة صحيحة مبنية على المبادئ والأسس التي سطرت في هذه العلوم.

هذه الأسباب وغيرها جعلتني أختار المصطلح الأول للتعليم الإسلامي في هذا المبحث والله الموفق.

### النقطة الثانية: التعريف ببلد الدراسة (جزر القمر):

لا أريد بهذا التمهيد الكتابة عن تاريخ جزر القمر وجغرافيتها ومراحل نشأتها إلى يومنا هذا، فهذا قد تناوله باحثون معنيون بهذه الجوانب، وإنما قصدت بهذا التمهيد بيان علاقة الشعب القمري بالإسلام دراسة وتمسكاً وعناية، ومدى اهتمامهم بالعلوم الإسلامية وتنشئة أبنائهم عليها منذ نعومة أظفارهم.

فجزر القمر أرخبيل مكون من أربع جزر مأهولة بالسكان هي: جزيرة القمر الكبرى وهي قصبته وفيها العاصمة مروني، وهي محل السلطان ووزرائه، وجزيرة هنزوان وهي الثانية مساحة وسكاناً، وإن كان أثر أهلها في الحكم لا يقل عن أثر أهل الجزيرة الكبرى، وثالثتها مايوت وهي التي اختارت البقاء تحت الاستعمار الفرنسي فلا تزال كذلك، بل تعد الآن من مقاطعات فرنسا وراء البحار، والأخيرة جزيرة موهيلي وهي أصغرها مساحة وسكاناً لا شأناً.

هذه الجزر تقع في الجنوب الغربي للمحيط الهندي بين قارة أفريقيا وجزيرة مدغشقر، وهي ضمن الدول المتحكمة في مضيق موزمبيق الإستراتيجي.

اختلف المؤرخون في تاريخ دخول الإسلام إلى جزر القمر لغياب الكتابات الموثقة في ذلك، واعتماد جلهم على الروايات الشفوية التي تفقد كثيراً من المصدقية عند الاختبار العلمي لها، ولكن الذي يُجزم به أن الاستعمار لما جاء وجد بلداً مسلماً، أهله يتمسكون بالإسلام ويفتخرون به، وحكامه من الأصول العربية، فنظام حكمهم قائم على الشريعة الإسلامية ولغة دواوينهم الرسمية هي اللغة العربية، والعالم المذكور في اصطلاحهم هو العالم بالشريعة المحمدية، والمتحضر فيهم من وصل إلى مستوى العرب في العيش مأكلاً وملبساً ومسكناً وتعلماً ومركباً، وهكذا في جميع شؤون الحياة. والمراد بالعربي هنا هم

العرب المسلمون الذين استوطنوا البلاد وحكموها ونظّموا شؤونها، حيث كانوا النموذج للعلم والحضارة لبقية مكونات سكان الأرخبيل من الزنوج والملاويين وغيرهم<sup>(١)</sup>.

هكذا وجد المستعمر جزر القمر لما أتاها، وهكذا كانت مكانة الفقيه والعالم في الأمة، فقد كانوا قادة المجتمع وسادته، ويتوجيههم يسير المجتمع ويقتدي بهم الحكام والأعيان.

لذا إذا أطلق العلم فهو العلم بالقرآن والسنة والفقه على المذهب الشافعي وغيره.

وإذا قيل فلان عالم يعني أنه عالم بهذه العلوم، لذلك كان يسعى أهل كل بيت أن يكون أولادهم علماء أو بعضهم؛ ليكون لهم شأن في المجتمع، فيرسلونهم إلى الكتاتيب وإلى حلقات العلم التي كان يعقدها المشايخ في بيوتهم أو زواياهم، وهكذا كانت جزر القمر قبل مجيء الاستعمار، بل حتى في ظل الاستعمار لما بدأ الناس يهتمون بالتعليم الجديد، ولكن كان الآباء والأمهات يحرصون على أن يدخل الطفل الكتاب ويجيد قراءة القرآن نظراً ويتعلم بعض المبادئ الدينية قبل أن يلتحق بالمدرسة الفرنسية. لذا كان الطفل يدخل السنة الأولى الابتدائية وقد جاوزت سنه العاشرة لهذا السبب. هذا ما أردت بيانه من تعريف بجزر القمر في هذا التمهيد.

### النقطة الثالثة: تاريخ التعليم الإسلامي في جزر القمر:

مما تقدم يتبين مدى اهتمام شعب جزر القمر بتعليم أبنائهم أمور دينهم في وقت مبكر من حياتهم، ومن هنا يبدأ تاريخ التعليم الإسلامي في البلد.

ففي عهد السلاطين المسلمين، أي قبل الاستعمار، كان التعليم الموجود هو التعليم الإسلامي وحده، وكان لكل سلطان مجلس فقهاء، وفي كل قرية عالمها الذي يتولى تعليم الناس الدين ويرجع إليه في كل الأمور، ولا بد أن يكون له حلقة علمية مشهورة حسب ما آتاه الله من العلم.

(١) انظر: حاضر العالم الإسلامي لوثروبستودار - مع زيادات أميرالبيان شكيب أرسلان ١٤٢/٣ فما بعده

وبعد استعمار البلاد وانحسار حركة التعليم الإسلامي وحلول التعليم الوافد محله بقي في الساحة ما يعرف بالكتاتيب القرآنية التي تعلم الناشئة القرآن ومبادئ الدين، ولا يمكن أن تخلو قرية أو حي في مدينة من هذه الكتاتيب.

ولقد أدت هذه الكتاتيب دوراً كبيراً في الحفاظ على الهوية الإسلامية للشعب القمري. فالطفل يدخل الكتاب ويتلقى القرآن بدءاً بكراسة مشهورة اسمها القاعدة البغدادية، يتعلم فيها تهجي الحروف ثم قراءتها ثم يرتقي إلى قراءة عبارات مقطعة، فإذا أتقنها بدأ بجزء عم ثم إذا فرغ من ذلك بدأ المصحف من الفاتحة إلى الناس، وإذا ختمها يُعمل له وليمة كبيرة من أهله يقال لها الختمة؛ أي ختم قراءة القرآن.

وبعدها يأخذ في قراءة بعض المختصرات الفقهية على مذهب الإمام الشافعي رحمه الله يتعلم فيها الطهارة والصلاة والصوم.

وهكذا استمرت هذه الكتاتيب تؤدي دورها طوال هذه الحقبة، ويضاف إليها تلك الحلقات القرآنية التي كانت تنظم في المساجد بعد صلاة المغرب والتي يجب على جميع أطفال الكتاب أن يحضروها، وهي تلاوة القرآن مجوداً، ومن فاته شيء في الكتاب يتداركه في الحلقة.

تطور بعد ذلك بعض هذه الكتاتيب إلى مدارس تعلم من يلتحق بها مبادئ اللغة العربية والمواد الإسلامية كالتفسير والحديث والفقه والعقيدة وغيرها، وقسمت الدراسة إلى مستويات متدرجة يمكن تصنيفها حسب المقاييس التربوية المعاصرة بمدارس ابتدائية، وسيأتي الحديث عن أبرزها إن شاء الله، وهذه المدارس لم تكن في كل قرية شأن الكتاتيب بل كانت في مدن معينة، ويتولى أمرها علماء معروفون على مستوى الجزيرة، مثل: المدرسة السلفية ومدرسة الفلاح بمروني العاصمة، ومدرسة الفتاح بإكوني، ومدرسة النور بمضوني، وهكذا. وهذه المدارس ظهرت في نهاية عهد الاستعمار وتوافد إليها الطلاب من كل أنحاء البلاد، وخريجوا هذه المدارس هم الطلاب

الأولى للقمرين الذين أرسلوا إلى الجامعات الإسلامية قبيل الاستقلال، وتعلموا هناك ليرجعوا بعد ذلك ويجدوا بلدهم قد نال استقلاله فينهضوا بمهمة التعليم ونشر العلوم الإسلامية في البلاد عبر مؤسسات تعليمية أكثر تنظيمًا وأقوى أداءً، إما أنشأتها المنظمات الإسلامية العالمية المهتمة بهذا الأمر كمعاهد رابطة العالم الإسلامي، ومعهد الإرشاد الثانوي، أو قام بتأسيسها هؤلاء الخريجون من تلقاء أنفسهم مثل مدارس الإيمان التي أنشأها الشيخ صادق امبابنزا عثمان خريج كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالمدينة المنورة، وكلية الإمام الشافعي للعلوم الإسلامية والعربية التي أنشأها أوائل الدكاترة الذين رجعوا إلى البلاد بعد دراستهم في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وجامعة أم درمان الإسلامية.

هذا تمهيد موجز لتاريخ التعليم الإسلامي في جزر القمر، مهدت به للحديث عن أبرز مؤسسات التعليم الإسلامي فيها، التي سأرتبها ترتيباً تاريخياً حسب النشأة إن شاء الله تعالى.



## المبحث الأول

### مؤسسات التعليم الإسلامي أثناء الاستعمار

#### المطلب الأول: المدرسة السلفية للسيد محمد عبدالرحمن بمروني

##### الفرع الأول: تأسيس المدرسة وطريقة الدراسة والمستويات فيها:

هذه المدرسة أول عمل قام به السيد محمد بن عبدالرحمن - رحمه الله - بعد تخرجه من زنجبار وعودته إلى البلاد عام ١٩٣٩م.

وكان الطلاب يفتدون إليه من أطراف البلاد لدراسة العلوم الشرعية والعربية على يد سماحته، فكانوا يدرسون على الطريقة العتيقة، حيث كانوا يتلقون تلك العلوم بالتدرج منتقلين لا من صف إلى الصف الأعلى بل من فن إلى فن آخر، وفي الفن ذاته من كتاب مبسط إلى كتاب أعمق وأدق، وهكذا يبدأ الطالب مثلاً في الفقه من مختصر أبي شجاع ثم يرتقي إلى كفاية الأخيار ثم يرتقي إلى منهاج الطالبين للنووي ويختم بمنظومة الزيد لابن رسلان.

وفي النحو مثلاً يبدأ بالآجرومية ثم يرتقي إلى قطر الندى، وهكذا في جميع العلوم.

وكان له أيضاً دروس عامة في المساء يحضرها غير الطلبة المتفرغين، وهي في تفسير القرآن الكريم والإجابة عن فتاوى السائلين، فقد كان هذا الشيخ عالماً ربانياً ومريباً حقيقياً للبلد كله وليس لطلاب مدرسته فقط.

##### الفرع الثاني: نوعها ومراحلها:

مما سبق لا يمكن تصنيف هذه المدرسة تصنيفاً معاصراً، إذ تشبه إلى حد كبير نظام الحلقات العلمية القديمة، وهي بطبيعة الحال مدرسة أهلية على نهج السلف كما يفهم من اسمها وواقعها.

### الفرع الثالث: مقرها وفروعها:

مقر هذه المدرسة بيت المفتي في مروني العاصمة، وليس لها فروع في المناطق وإنما خريجوها قاموا بتنظيم حلقات مماثلة في قراهم، إضافة إلى المهمات الإدارية التي كانوا يقومون بها، فامتدت ثمار هذه المدرسة إلى الناس والحمد لله.

### الفرع الرابع: مخرجاتها وآثارهم في البلد:

ومن مخرجات هذه المدرسة من سافروا والتحقوا بالجامعات الإسلامية في العالم العربي مثل السعودية ومصر والسودان، ثم رجعوا علماء يمسون مفاصل النهضة العلمية في البلاد، وأذكر منهم على سبيل المثال:

- ١- الشيخ صادق امبابانزا عثمان مؤسس مدارس الإيمان التي سنتحدث عنها لاحقاً.
  - ٢- الأستاذ محمد شيخ علي محاضر بكلية الإمام الشافعي ورئيس جمعية التوجيه الاجتماعي.
  - ٣- الدكتور عبدالحكيم محمد شاكر أستاذ بكلية الإمام الشافعي ونائب رئيس الجامعة الوطنية سابقاً.
  - ٤- الأستاذ عبد الله يحيى طيب نائب برلماني سابق ومن رجال التعليم والتربية.
  - ٥- الأستاذ أحمد سعد طيب مفتش اللغة العربية في وزارة التربية الوطنية.
  - ٦- الأستاذ علي محمد زكريا مفتش أيضاً للغة العربية في الوزارة المذكورة.
- ومنهم من لم يخرج من البلد بل تخرج على يدي هذا العالم وكان له شأن كبير في البلاد، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، ومن هؤلاء:
- ١- السيد محمد بن أحمد الجيلاني المتوفى قريباً سنة ٢٠١٦م، وقد كان عالماً محترماً ومقدراً في البلاد، له دروسه المذاعة في وسائل الإعلام وتولى منصب القضاء حتى ارتقى إلى منصب قاضي القضاة رحمه الله.

٢- القاضي سيد إسماعيل حمد أطال الله عمره، تولى منصب القضاء في منطقته ومازال يلقي دروسه العلمية التي يستفيد منها الطلاب.

٣- السيد عبدالرحمن سيد أحمد، وهو إضافة إلى نشاطه العلمي والدعوي رجل أعمال مبارك.

هؤلاء يمثلون النماذج التي خرجتها هذه المدرسة التي أنشأها السيد محمد عبدالرحمن منذ عهد الاستعمار، وعكف عليها معلماً ومربيًا حتى نال البلد استقلاله، والذي مع انشغاله بمنصب الإفتاء لم يثنه ذلك عن المواصلة في التعليم - رحمه الله رحمة واسعة -، إلا أن هذه المدرسة اندثرت بعد وفاته وبقيت آثارها في تلامذتها الذين ينشرون العلم في قراهم ومدنهم، ويلحظ أن هذه المدرسة كانت في منزل الشيخ في العاصمة، والطلاب يفتدون إليه من القرى والمدن، فبعد تخرجهم منها أو من الجامعات التي التحقوا بها يرجعون إلى قراهم ومدنهم<sup>(١)</sup> والله أعلم.

## المطلب الثاني: مدرسة الفتح للسيد محمد شريف بن أحمد بإكوني

### الفرع الأول: التعريف والتأسيس:

هي مدرسة شرعية أنشئت لتعليم الجيل اللغة العربية والعلوم الإسلامية وبخاصة العناية بالقرآن الكريم.

قام بتأسيسها السيد محمد شريف سنة ١٩٦٤م بعدما تخرج من معاهد زنجبار العلمية ومعهد بخت الرضا في السودان، وعمل في سلك التعليم في زنجبار ثم رجع بعد قيام الثورة في زنجبار إلى وطنه وقام بنشر العلم والدعوة إلى الله عبر هذه المدرسة وغيرها من النشاط. ويذكر من شهد تأسيس المدرسة وأحد تلامذتها الأخ الدكتور عبدالرؤوف عبده عمر عميد كلية الإمام الشافعي أن (من آثار محمد شريف أحمد تأسيس مدرسة الفتح أول مدرسة نظامية لنشر اللغة العربية، وأنه لما رجع محمد شريف إلى إكوني مسقط رأسه

(١) انظر: الفتوى أركانها أثرها على السياسة الشرعية مؤسساتها ورجالها في جزر القمر.

وجد أهالي بلده قد شرعوا في بناء نادٍ للشباب للترفيه وحفظ الآلات الموسيقية والتدريب عليها، وكان المبنى على وشك الانتهاء، فحاور الأهالي برفق وطلب منهم للمصلحة العامة ولمصلحة دينهم تحويل النادي إلى مدرسة فرحبوا بالفكرة ترحيباً كبيراً، وكانت هذه الخطوة المباركة بحق نقطة تحول وانطلاق لنشر اللغة العربية ومبادئ الدين الإسلامي الحنيف بين أبناء جزر القمر بصفة عامة وأبناء جزيرة القمر الكبرى بصفة خاصة<sup>(١)</sup>.

## الفرع الثاني: مراحل تطورها ومستويات التعليم فيها الآن:

لقد مرت هذه المدرسة كغيرها من المدارس بمراحل مختلفة، حيث نالت تشجيع الأهالي منذ البداية فتوافد أبناء مدن وقرى البلاد إليها، ووجدوا عند أهالي مدينة إكوني استقبلاً واحتضاناً، ومن المعلم نفسه أباً روحياً معلماً وموجهاً، إلا أنها نالها ما نال غيرها من التضييق أثناء الحكم الثوري لعلي صالح وتعرضت للإغلاق، لكن صاحبها لم يتراجع بل استمر على العمل بوتيرة منخفضة، حتى إذا هلك علي صالح نشطت وتطورت وتوسعت يوماً بعد يوم.

ولما توفي المؤسس أخذ الراية من بعده طلابه من مدينة إكوني فحولوها إلى مدرسة خاصة تعلّم جميع العلوم الإسلامية واللغة العربية مع المواد العامة التي تدرس في المدارس الفرنسية الحكومية.

وتبدأ مستويات الدراسة من الروضة إلى الثانوية، وهي مدرسة أهلية تعمل تحت إشراف إدارتها وليست تابعة للحكومة.

## الفرع الثالث: مخرجات المدرسة:

لقد أدت هذه المدرسة دوراً كبيراً في تربية الجيل أيام الاستعمار، وهيأت للبلد قياداتها ورجالاتها بعد الاستقلال، فقد تخرج من هذه المدرسة الأفواج الأولى من القمريين الذين

(١) التعليم العربي في جزر القمر أطواره وسبل ترقيته للدكتور عبدالرؤوف عبده عمر ٨٨

التحقوا بالجامعات الإسلامية ورجعوا بعد تخرجهم ليسهموا مع إخوانهم في نهضة البلاد، وبخاصة في نشر التعليم الإسلامي ولغة الضاد، كما أن من خريجي هذه المدرسة من لم يسافر إلى الخارج واكتفى بما درس فيها ومع ذلك صار له شأن في البلاد.

### فممن تخرج منها ولم يواصل في غيرها:

١- السيد أحمد محي الدين قاضي منطقة هماهامي ومبوانكو والواعظ المشهور.

٢- الشيخ محمد سيد عباس المقيم في زنجبار.

٣- السيد هاشم ابن السيد ناصر المقيم في مرسيليا.

٤- الشيخ محمد سولي لاك المقيم في باريس.

وهؤلاء جميعاً يقومون بدور الوعظ والإرشاد وتولي الشؤون الدينية للجاليات القمرية في أماكن إقامتهم المذكورة.

أما تلامذته الذين واصلوا التعليم في الوطن العربي ورجعوا إلى البلاد فهم ذوو عدد، وأذكر منهم:

١- الدكتور حامد كارهيلا، وهو حالياً وزير الدولة المكلف بالوطن العربي في وزارة الخارجية، وقد كان قبل سفيراً لجمهورية القمر المتحدة بالملكة العربية السعودية والممثل الدائم لدى منظمة التعاون الإسلامي، ثم أميناً عاماً لحزب التجمع من أجل تنمية جزر القمر الحاكم حالياً.

٢- الدكتور عبدالرؤوف عبده عمر عميد كلية الإمام الشافعي بجامعة جزر القمر، والذي كان من قبل رئيساً لقسم اللغة العربية بالكلية، وقبله مديراً لمعهد رابطة العالم الإسلامي بموروني.

٣- الدكتور محمد حاج محمد مباما المحاضر بكلية الإمام الشافعي ورئيس قسم اللغة العربية بها.

- ٤- الأستاذ علي حسن صالح المحاضر بكلية الإمام الشافعي والمنسق الوطني لجمعية الهلال الأحمر القمري.
- ٥- الأستاذ محمد عثمان رئيس القسم العربي بالمركز الوطني للتوثيق والبحث العلمي والأمين العام للرابطة الخيرية الإسلامية.
- ٦- السيد عبدالله رفقي الأمين العام لدار الإفتاء الذي كان قبل مستشاراً للرئيس محمد تقي عبدالكريم ثم مستشاراً لمفتي الجمهورية.
- وغيرهم كثير، وأثرهم طيب في البلد، وإنما اقتصرنا على البعض للدلالة على الباقي.

### الفرع الرابع: العوائق التي تحول دون تطورها وطرق معالجتها:

لا تواجه المدرسة أي عائق اجتماعي ولا سياسي، وإنما العائق يرجع إلى القضايا المالية، وتغلبوا عليها بفرض الرسوم على طلابها شأنها شأن المدارس الخاصة في البلاد.

### المطلب الثالث: مدرسة الفلاح للسيد هادي بن أحمد هدار بموروني

#### الفرع الأول: التعريف بالمدرسة ونشأتها:

هي مدرسة شرعية أنشأها السيد هادي بن أحمد الهدار الحضرمي الموفد من قبل رابطة العالم الإسلامي إلى جزر القمر لنشر التعليم الإسلامي بين الشباب القمري.

يقول سعادة السفير حاجي عبدالله عبدالحميد سفير جزر القمر في دولة قطر سابقاً؛ والذي هو أحد تلامذتها: (بدأ السيد هادي دروسه في بيته ويأتي الناس إليه من مختلف القرى، فلما رأى أهالي العاصمة ازدحام الناس عليه قرروا بناء مدرسة له، ففرضوا رسوماً قدرها مئة ألف فرنك قمري في كل مناسبة زواج في العاصمة للإسهام في هذا البناء، وهكذا تم بناء المدرسة وافتتحها رسمياً رئيس الحكومة القمرية السيد محمد شيخ منصاب).<sup>(١)</sup>

(١) تسجيل صوتي عبر الوتساب من السفير حاجي عبدالله عبدالحميد يوم ٢٤ سبتمبر ٢٠١٨م

وكان ذلك عام ١٩٦٩م كما أفادني بذلك الرئيس عبد الباقي مزي سولي رئيس جزيرة القمر الكبرى سابقاً وأحد طلبة هذه المدرسة الأوائل<sup>(١)</sup>.

### الفرع الثاني: تطورها ومصيرها:

استمر السيد هادي أحمد الهدار في التدريس وتوجيه الناشئة مع عمله مستشاراً ثقافياً لرئيس الحكومة القمرية طوال الحكم الذاتي للجزر، أي قبل الاستقلال التام، ودرس على يديه ليف طيب من الشباب هم من الأفواج التي سافرت مبكراً إلى العالم العربي، ثم استلم المدرسة منه في أيام الحكم الثوري معلم قدم من الأزهر بطلب من الحكومة الثورية اسمه السيد سيد مصطفى وتولى التدريس في المدرسة، وذلك أن الرئيس الثوري علي صالح لم يكن يحسن التعامل مع فئة العلماء الأشراف من السادة العلوية، ما أجبر السيد هادي الهدار على العودة إلى جزيرة العرب.

استمر هذا المعلم طوال مدة الحكم الثوري، وبعد سقوط هذا الحكم وعودة الرئيس أحمد عبدالله عبدالرحمن إلى الحكم رجع ذلك المدرس الأزهري واستلم المدرسة شيخ محلي اسمه السيد عبدالله، الذي حافظ على شكلها ومقرراتها إلى وفاته<sup>(٢)</sup>.

### الفرع الثالث: مستواها العلمي ونوعها:

هذه المدرسة منذ نشأتها قامت بتدريس الشباب مبادئ اللغة العربية والعلوم الإسلامية، وكانت المقررات التي يدرسها الطلاب وفرها السيد هادي من رابطة العالم الإسلامي، وكان الطلاب يصنفون حسب الصفوف من الصف الأول إلى السادس، فهي مدرسة ابتدائية هيأت الطلاب للالتحاق بالمرحلة المتوسطة في الوطن العربي، وهكذا استمرت مع المدرسين اللذين جاء بعده. ولكن بموت المدرس الأخير الشيخ سيد عبدالله توقفت المدرسة عن نشاطها رغم تجديد بنائها وتلميعها، إلا أن خريجها القدماء الذين هم الآن أصحاب شأن ينوون تطويرها على غرار مدرسة الفتح ياكوفي ومدرسة النور بنفوني.

(١) مقابلة شخصية مباشرة معه يوم ٢٧ سبتمبر ٢٠١٨م قريباً من مكتب وكالته السياحية في مروي

(٢) مقابلة مع الشيخ أحمد أبوبكر خطيب جامع مروي يوم ٢٤ سبتمبر ٢٠١٨م

## الفرع الرابع: مخرجات المدرسة:

لقد هيأت هذه المدرسة - كما سبق بيانه - الجيل الأول من الشباب القمريّ الذين سافروا إلى الجامعات العربية ورجعوا حاملين لواء العلم والمعرفة وتبوؤوا مواقع متميزة في البلاد، شأنها شأن تلك المدارس التي وجدت في زمن الاستعمار، ومن هؤلاء الشباب:

١- عبدالله محمد ودعان، تخرج من جامعة الملك عبدالعزيز بجدة في كلية الاقتصاد والإدارة، ورجع إلى البلاد فورث تجارة والده وصار من رجال الأعمال في البلاد، وهو أيضاً مستشار لرئيس الجمهورية في قضايا المال.

٢- عبد الباقي مزي سولي، تخرج أيضاً من جامعة الملك عبدالعزيز بجدة، بعد أن درس المرحلة الثانوية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، واشتغل في وزارة الخارجية مدة ثم انضم إلى الأحزاب السياسية وفاز برئاسة الجزيرة الكبرى، ثم تفرغ بعد ذلك لأعماله التجارية.

٣- أحمد أبوبكر، التحق بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وبعد حصوله على الشهادة الثانوية التحق بمعهد الأئمة والخطباء بالجزائر، وهو حالياً إمام وخطيب الجامع الكبير في العاصمة مروني.

٤- محمد علي العامر، تخرج من كلية الهندسة في جامعة الملك سعود بالرياض، ورجع وتولى إدارات عدة في هذا المجال في وزارات الدولة، وهو المهندس الذي بنى الجامع الكبير في العاصمة مروني.

٥- حاجي عبدالله عبد الحميد، تخرج من جامعة أم القرى بمكة المكرمة حين كانت تسمى جامعة الملك عبدالعزيز فرع مكة، وتخصص في اللغة العربية وآدابها، ورجع إلى البلاد فاشتغل في وزارة الخارجية وتولى مناصب عدة، منها القنصل العام لجزر القمر في جدة، ثم مدير مراسم الدولة، فسفير جمهورية القمر المتحدة بالدوحة<sup>(١)</sup>

(١) تسجيل صوتي من سعادة السفير حاجي عبدالله عبد الحميد المقيم حالياً في قطر، يوم ٢٤ سبتمبر ٢٠١٨م



## المطلب الرابع: مدرسة النور للشيخ حسن علي مزي بنفوني الفرع الأول: التعريف بالمدرسة ونشأتها:

هي مؤسسة علمية اجتماعية تربوية تعمل على إعداد معلمين ومثقفين بالعلوم الإسلامية واللغة العربية.

تأسست مدرسة النور الإسلامية بمدينة مفوني عام ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م بقيادة الأستاذ المربي حسن علي مزي.

وهي تابعة لجمعية النهضة الطلابية بمدينة مفوني بمباو، التي نشأت على يد نخبة من طلاب العلم من أهل المدينة عام ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م، فالجمعية هي التي تشرف على سير أعمال المدرسة منذ النشأة إلى الوقت الحاضر. ولقد أقيم أول مبنى لها بالحشائش في عام ١٩٧٢م.

وأول من أطلق هذه التسمية على المدرسة هو الشيخ الأستاذ سيد هادي بن أحمد بن عبدالله الهدار رحمة الله عليه.

## الفرع الثاني: مراحل تطورها:

مرحلة الفكر النظري التطوعي: ولقد شهدت المدرسة خلال هذه المرحلة مضايقة من قبل ثورة الرئيس الراحل علي صالح متشحيوا.

مرحلة الانتقال: وفي هذه المرحلة نُقل مبنى المدرسة من مكانها إلى مكان آخر حيث تطور البناء من حشائش إلى زنك، أو ما يسمى بالصفيح، فانضم في هذه المرحلة كثير من الطلبة الوافدين من القرى القريبة والبعيدة ذكوراً وإناثاً، وكانت الدراسة متوقفة في المرحلة الابتدائية ما بين عامي ١٩٧٧م - ١٩٨٠م.

مرحلة التطور والبناء: شهدت المدرسة خلال هذه المرحلة وضع الحجر الأساسي للبنية بالإسمت في المدة ما بين ١٩٨٠م - ١٩٨٥م، حيث تلقت المدرسة في هذه المرحلة مساعدات قيمة من قبل رابطة العالم الإسلامي بمروني، بواسطة الشيخ محمد إدريس حسين فلاتة

مدير مكتب الرابطة في ذلك الوقت. وتم تدشين مبنى المدرسة عام ١٩٩١م وتنظيم المرحلة الابتدائية بشكل رسمي من قبل الحكومة وبحضور وزير التعليم في حفل رسمي.

مرحلة النهوض والازدهار: وهي ما بين عامي ٢٠٠٢م - ٢٠١٢م، حيث تم فتح المراحل الدراسية المتوسطة والثانوية، وإضافة اللغة الفرنسية بجانب العربية، وتوسيع الفصول الدراسية.

### الفرع الثالث: مقرها ونوعها ومستوياتها التعليمية:

مقر هذه المدرسة هي مدينة مفوني شمال العاصمة مروني وليس لها فروع في مكان آخر.

وهي مدرسة أهلية منذ نشأتها إلى الآن، وهكذا جل المدارس الشرعية هي من جهود الأهالي وطلبة العلم.

وقد تبين مما سبق أن المدرسة تطورت الآن وفتحت مراحل التعليم قبل الجامعية كلها الابتدائية والمتوسطة والثانوية، ويلحظ أيضاً أنها لا تقتصر على تدريس العلوم الإسلامية فقط كما كان الحال عند التأسيس، بل يدرس فيها أيضاً المناهج العامة التي تدرس في مدارس الحكومة التي تدرس باللغة الفرنسية، شأنها شأن مدرسة الفتح السابقة الذكر ومدارس الإيمان كما سيأتي.

وبلغ عدد الطلاب المسجلين في المدرسة للعام الدراسي ٢٠١٦-٢٠١٧م خمسمئة طالب وطالبة، موزعين على المراحل الثلاثة.

وهذا النهج له وجه إيجابي مهم وهو أن طلبة هذه المدارس يدخلون في مسابقات وامتحانات الدولة كغيرهم ويلتحقون بجميع التخصصات في الجامعة، مع نيلهم قسطاً لا بأس به من العلوم الشرعية واللغة العربية، ولكن يلحظ أيضاً أن هذه المدارس بعد سلوكها هذا المسلك لم تعد تخرج تلك النوعيات المتميزة من العلماء الشرعيين المدققين كتلامذة المفتي السابق الذين أشرت إليهم، وإنما يتخرج منها مثقفون بثقافة إسلامية غير واسعة وإمام لا يحسدون عليه في اللغة العربية.

## الفرع الرابع: مخرجات المدرسة:

لقد استفاد كثير من طلبة العلم من هذه المدرسة فانطلقوا منها إلى العالم العربي وتعلموا في جامعاته، ورجعوا إلى الوطن لمشاركة إخوانهم في بنائه وتطويره، وأذكر على سبيل المثال:

١- دين عثمان قاسم، الذي تخرج من جامعة الملك سعود بالرياض وهو الآن مفتش للغة العربية في وزارة التربية.

٢- إبراهيم أحمد سعيد، وهو أيضاً معلم للغة العربية في المرحلة الثانوية ومتخرج من الجامعة نفسها.

٣- سيد يحيى صالح، المتخرج من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ويعمل أيضاً في سلك التعليم.

٤- أنور علي سعد، المتخرج من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة والمحاضر بكلية الإمام الشافعي.

٥- جوهري يوسف، مستشار وزير الداخلية.

لم يذكر القائمون على هذه المدرسة عوائق تذكر إلا في الجانب المالي، ما جعلهم يحولونها إلى مدرسة خاصة ويأخذون رسوماً دراسية من الطلاب<sup>(١)</sup>.

هذه المدارس الأربعة رغم بساطتها في المناهج والتنظيم إلا أنها كانت الأساس المتين الذي خرجت منه الأفواج المباركة إلى الوطن العربي للدراسة، والعودة بعد الاستقلال لحمل مشاعل النور ونشر لغة الضاد والعلوم الإسلامية بين الشباب، حتى ينتظم التعليم العربي الإسلامي بمراحلها الدراسية المتكاملة من الحضانة إلى الجامعة، وانتقالها من تعليم أهلي إلى تعليم رسمي معترف به وبخريجه، ومعاملتهم على قدم المساواة مع خريجي التعليم الفرنسي والحمد لله؛ لذلك أطلت الحديث عنها ليُعلم فضلها على هذه النهضة المباركة، ويقدر هؤلاء العلماء حق قدرهم، رحمهم الله جميعاً.

(١) انظر ملخص تقرير لمدير المدرسة السابق في صفحتين.

## المبحث الثاني

# مؤسسات التعليم الإسلامي العام

### (قبل الجامعة) بعد الاستقلال

وتحت أربعة مطالب:

### المطلب الأول: التعريف بها وحصر لأبرزها:

مؤسسات التعليم الإسلامي والعربي التي قامت بعد الاستقلال هي المدارس العربية التي أنشئت لأجل تدريس اللغة العربية والعلوم الإسلامية فقط، وكان يقابلها المدارس الحكومية التي تعنى بتدريس العلوم العصرية باللغة الفرنسية من الابتدائية إلى الثانوية.

وهذه المدارس وإن تنوعت طرق تأسيسها إلا أنها جميعاً شهدت ظروف تأسيس متشابهة، ومراحل تطور متماثلة، ووضعها الآن جميعاً متساوٍ.

لذا فضلت أن أتحديث عنها جميعاً مرة واحدة على خلاف الأسلوب الذي اتبعته في المدارس الأصلية التي كانت قبل الاستقلال.

وأبرز هذه المدارس هي:

— معاهد رابطة العالم الإسلامي الستة، أنشأتها رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة بعد فتح مكتبها في جزر القمر عام ١٩٨٢م، وهي موزعة على الجزر الثلاثة حيث بنوا ثلاثة معاهد في الجزيرة الكبرى ومعهدين في جزيرة هنزوان ومعهداً واحداً في جزيرة موهيلي. ويذكر أن الرابطة بدأت تجربة المعاهد بفتح معهد واحد في العاصمة على يد مبعوثها إلى جزر القمر الشيخ إدريس محمد فلاتة سنة ١٩٧٩م، أي بعد الإطاحة بالنظام الاشتراكي بسنة، ثم لما رأت التجربة ناجحة فتحت مكتباً لها سنة ١٩٨٢م وعممت فكرة المعاهد في الجزر كما تقدم<sup>(١)</sup>.

(١) مقابلة شفوية عبر الهاتف مع مدير مكتب الرابطة بمروني الشيخ يوسف مدوهما يوم ٢٥/٩/٢٠١٨م

- مدرسة ابن خلدون، أنشأتها لجنة مسلمي أفريقيا الكويتية، التي تسمى جمعية العون المباشر، وذلك عام ١٩٩٦م.
  - مدرسة الشيخ حمدان بن راشد العلمية، أنشأتها منظمة الدعوة الإسلامية بالخرطوم، ثم أنشأت معهدين مماثلين بعد ذلك. فقد فتحت المنظمة مكتبها بجزر القمر سنة ١٩٩١م، وبعد ذلك بإحدى عشرة سنة؛ أي عام ٢٠٠٢م، قامت بفتح هذا المعهد لما لاحظت أن أكبر خدمة يحتاج إليها أبناء البلدهي التعليم<sup>(١)</sup>..
  - معهد الإرشاد الثانوي، أنشأته الهيئة الخيرية العالمية بالكويت عام ١٩٩٧م.
  - والقاسم المشترك بين هذه المؤسسات كلها - كما يظهر - أن الذين قاموا بإنشائها منظمات دعوية إسلامية عالمية من خارج البلاد.
  - مدارس الإيمان، قام بتأسيسها الشيخ صادق امبابانزا عثمان خريج كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالمدينة المنورة بعد تخرجه عام ١٩٨٤م.
  - مدرسة بث الأخلاق الإسلامية، أنشأها الشيخ محمد إسلام بوانا خريج كلية الدعوة وأصول الدين بالمدينة المنورة. ويظهر أن هاتين الأخيرتين قام بتأسيسهما اثنان من أبناء البلد.
- هذه أبرز المدارس العربية التي قامت بعد الاستقلال، وهذا لا يعني أن ليس هناك مدارس أخرى، وإنما ذكرت هذه نماذج ولله الحمد.

## المطلب الثاني: مراحل تطورها ومقراتها وتوزيعها في الجزر:

هذه المدارس كلها شهدت تطورات كثيرة، فكلها بدأت الدراسة فيها من المرحلة الابتدائية وتدرس العلوم العربية والإسلامية فقط، حتى التي أسستها المنظمات العالمية، ولم يكن للتدريس الفرنسي حظ فيها، ثم لاحظ القائمون عليها أن كثيراً من

(١) مقابلة شفوية عبر الهاتف مع مدير المدرسة الشيخ محمود هداريوم ٢٥/٩/٢٠١٨م

طلابها يهربون إلى المدارس الفرنسية حيث يرون المستقبل فيها، ولا سيما أن الاهتمام بهذه المدارس؛ حتى من قبل مؤسسيها لم يكن على المستوى المطلوب، إذا استثنينا معهد حمدان بن راشد ومدرسة ابن خلدون، فلما لاحظوا ذلك ورغبة في إشراك طلاب هذه المدارس في قيادة البلد مستقبلاً أدرجوا التعليم الفرنسي فيها فصارت تقدم منهجاً مزدوجاً، حيث يدرس الطلاب منهج المدارس الحكومية بالكامل ويشاركون أترابهم في امتحانات الدولة المتوسطة والثانوية، إضافة إلى مناهج العلوم الإسلامية واللغة العربية التي يدرسونها بكثافة أكثر مما يدرس في مدارس الحكومة، وهذا الوضع الذي عليه تلك المدارس جميعاً.

ولكن معهد حمدان بن راشد أنشئ من أول يوم معهداً ثانوياً علمياً لا يدرس فيه إلا العلوم التطبيقية إضافة إلى المواد الشرعية كما سبق.

أما مقراتها، فمعاهد الرابطة - كما سبق - موزعة بين الجزر، فالثلاثة الموجودة في الجزيرة الكبرى موزعة بين الوسط وهو موجود في العاصمة مروني، والشمال في مدينة ميسامهولي والجنوب في مدينة فمبوني.

وفي هنزوان واحد في عاصمتها ميسامودو والثاني في عاصمة شمالها دموني، وأما معهد موهيلي فهو في عاصمتها فمبني.

وأما مدرسة ابن خلدون فهي في ضاحية من الضواحي الواقعة جنوب العاصمة اسمها مدينة فوفوني، فيما تقع مدارس الإيمان ومعهد الإرشاد الثانوي داخل العاصمة.

وأما مدرسة بث الأخلاق الإسلامية ومعهد حمدان بن راشد فهما في منطقة إيسنري قريباً من العاصمة، أولهما في قرية اسمها أوسيفو والثاني في قرية اسمها باتسا بين العاصمة والمطار.

## المطلب الثالث: مناهجها ومستويات التعليم فيها:

أما مناهجها فكما تقدم يدرسون العلوم الشرعية واللغة العربية مع المناهج الرسمية من الابتدائية إلى الثانوية، إلا معهد الإرشاد الثانوي فهو متخصص في العلوم الشرعية واللغة العربية فقط.

## المطلب الرابع: وضعها من حيث كونها أهلية أو رسمية:

المدارس التي أنشأتها المنظمات الدولية تحظى باعتراف حكومي، وتأسسها كان باتفاقيات مبرمة بين الحكومة القمرية وتلك المؤسسات، فهي شبه حكومية، أما التي أسسها أبناء البلد فهي مدارس أهلية خاصة، إلا أن الجيد في الأمر أن اختبار الشهادة الثانوية تنظمه وزارة التربية الوطنية عبر إدارة الامتحانات ويُسمح بالمشاركة فيه لكل من درس المنهج الحكومي من أي مدرسة خاصة أو عامة، فطلاب هذه المدارس يحظون بالفرص نفسها التي يحظى بها إخوانهم في المدارس الحكومية.

## المطلب الخامس: مخرجاتها:

إن المخرجات الأولى لهذه المدارس، وهم الذين تعلموا العلوم الشرعية واللغة العربية، سافروا إلى الوطن العربي وتعمقوا في هذه العلوم وصاروا هم الورثة الشرعيين لأساتذتهم الذين أنشؤوا أو درسوا في هذه المدارس، ويتبوؤون مواقع شرعية متميزة فهم القضاة والأئمة والخطباء، وجل رجال سلك التعليم سواء في المدارس الحكومية أو الخاصة منهم.

كما أن منهم من تخصص في مجالات العلوم الإنسانية غير الشرعية وانخرطوا في الحياة العامة كالصحافيين والمذيعين والإداريين والاقتصاديين وغير ذلك.

وأما مخرجاتها بعد تطويرها إلى مدارس ذات مناهج مزدوجة فقد دخلوا في جميع التخصصات الشرعية والعلوم الإنسانية والتطبيقية، ونافسوا غيرهم من طلاب المدارس الفرنسية في كل مجال.

وبرهاناً على ذلك فإن خيرة الطلبة الذين يلتحقون بكلية العلوم التطبيقية ومعهد العلوم الصحية والمعهد الجامعي للتكنولوجيا في الجامعة القمرية غالبهم من خريجي هذه المدارس ويسجلون نتائج مشرفة<sup>(١)</sup>.

كما أنهم يلتحقون بهذه التخصصات المختلفة في مختلف الجامعات في مشارق الأرض ومغاربها، ولا يمكنك أن تدخل مصنعاً أو مستشفى أو مصلحة من مصالح الدولة إلا وتجد عدداً منهم فيها وفي أماكن القيادة فيها.

## المطلب السادس: العوائق التي تواجهها:

هذه المدارس التي أُسست أصلاً لنشر التعليم الإسلامي واللغة العربية كما تقدم تحولت الآن إلى مدارس خاصة تهتم بالتعليم العام وشيء من العلوم الإسلامية، فصار نوابغ طلابها يختارون التخصصات الدنيوية لدخول الجامعات العالمية والعودة بعد ذلك لاستلام المناصب في الدولة، وزهد كثير منهم في القسم الشرعي فلم يعد يلتحق به إلا من ليس له القدرة العلمية أو المالية لمتابعة الدراسة في غيرها، وبالتالي هبط المستوى التعليمي لهذا التخصص في هذه المعاهد وقلّ الملتحقون به.

أما العائق المالي فقد تم تجاوزه لدى الكثير منها حيث تُفرض رسوم على الطلاب لتغطية نفقة المدرسة، كما أن بعضها إضافة إلى هذه الرسوم تحظى بدعم خارجي ليس بالهين، مثل مدارس الإيمان التي حظيت بعوائل أقامتها لها مؤسسة الحرمين الخيرية بالرياض ومؤسسة راف بالدوحة والبنك الإسلامي للتنمية بجدة، مع دعم لوجستي غير منقطع من الندوة العالمية للشباب الإسلامي<sup>(٢)</sup>.

(١) هذا ما لاحظته أثناء إدارتي للجامعة القمرية من عام ٢٠١١ إلى عام ٢٠١٥ نائباً للرئيس، ومن عام ٢٠١٥ إلى عام ٢٠١٨ رئيساً لها.

(٢) هذه المساعدات تقدم في حفلات علنية ويبين مصدر الدعم ويوثق ذلك كل من حضر.



## المطلب السابع: الشهادة الثانوية الشرعية:

كانت من العوائق التي تزهّد الطلاب في الالتحاق بقسم العلوم الشرعية أن الطالب يكمل المرحلة الثانوية ولا ينال شهادة علمية معترفاً بها، وكانت هذه المشكلة عويصة وظهر أثرها السلبي عام ٢٠٠٣م عند افتتاح الجامعة القمريّة حيث رفضت إدارة الشؤون التعليمية طلاب معهد الإرشاد الثانوي، مع أنهم أكملوا المرحلة الثانوية ونجحوا في الامتحان الذي أجرته لهم المدرسة، بحجة أن الشهادة الثانوية لا تصدرها إلا وزارة التربية.

فكان الحل الأمثل أن اقترح مسؤولو كلية الإمام الشافعي آنذاك على وزير التربية الوطنية فكرة إدخال قسم للعلوم الشرعية واللغة العربية في برنامج الشهادة الثانوية، وتقوم الوزارة باعتماد مناهج هذا القسم، ثم بعد ذلك تدرس أي مدرسة تريد أن يختبر طلابها وتعترف بهم الحكومة هذه المناهج، وقد وافق الوزير على ذلك وصدر القرار الوزاري رقم ٠٨/٠٦ القاضي باعتماد الشهادة الثانوية قسم اللغة العربية والعلوم الشرعية، ودخل حيز التنفيذ منذ عام ٢٠٠٧م والحمد لله.

لقد كان اعتماد هذه الشهادة فتحاً عظيماً لدارسي العلوم الشرعية والعربية وحافزاً لتطوير هذه المدارس، فبعد إدخال المدارس المذكورة هذا النظام ونيل طلابها هذه الشهادة، لم تسمح لهم بالدخول في الجامعة الوطنية فقط بل سمح لهم بالالتحاق بجميع جامعات العالم لكونها شهادة صادرة من الحكومة، ولكن جعل التعليم الشرعي تعليمًا رسميًا مثل أنواع التعليم الأخرى، ففتح قسم العلوم الشرعية واللغة العربية في أعرق المعاهد الثانوية الحكومية، مثل معهد سيد محمد شيخ أكبر وأقدم معهد على الإطلاق في العاصمة مروي، ثم معهد ميسامودو ومعهد دموني في هنزوان قبل ذلك، وأخذ عدد الطلاب الملتحقين به في تزايد مستمر.

## المبحث الثالث مؤسسات التعليم الإسلامي العالي بعد الاستقلال

وتحتة مطلبان

### المطلب الأول: التعليم العربي والإسلامي في معاهد الدولة العليا:

نالت جزر القمر استقلالها عام ١٩٧٥م ولم يكن في البلاد عند خروج القوة المهيمنة إلا معاهدان ثانويان وثلاثة معاهد متوسطة على مستوى الجزر الثلاثة<sup>(١)</sup> التي نالت الاستقلال، وهذه المعاهد كلها تدرّس باللغة الفرنسية، أما العربية فلغة حية تُخصص لها ساعات قليلة ومعدل أقل؛ تزهيداً للناس فيها.

فإذا حصل الطالب على الشهادة الثانوية العامة وأراد مواصلة مسيرته التعليمية فيجب عليه أن يهاجر إلى الخارج، إذ لم يكن هناك أي مؤسسة للتعليم العالي لا العام ولا الفني.

وفي عهد الاستعمار كان هؤلاء الطلبة يُبتعثون إلى فرنسا أو إحدى مستعمراتها<sup>(٢)</sup>.

وبعد إعلان الاستقلال لم يهدأ البلد ولم يشهد أي استقرار سياسي.

فإذا كان يوم ٦ يوليو ١٩٧٥م هو يوم مولد الحرية لهذا الشعب ونيل استقلاله، فقد حدث انقلاب عسكري بعد ذلك بأقل من شهر، أي في يوم ٣ أغسطس ١٩٧٥م وتولى الحكم على إثره مجموعة من الشباب، وزُج جميع القادة السياسيين في السجون.

فلما وجدوا أنفسهم أمام واقع صعب في مجال التعليم اضطروا لأن يكلفوا خريجي الثانوية العامة بالتدريس في المعاهد المتوسطة التي فتحت آنذاك بكثرة<sup>(٣)</sup>، أما المعاهد

(١) الجزيرة الرابعة التي لم تزل مستعمرة لم يكن فيها معهد واحد.

(٢) أبرز دولة كان الطلبة القمريون يرسلون إليها هي دولة مدغشقر المجاورة.

(٣) تم افتتاح معهد متوسط ريفي في كل مديرية من مديريات الدولة التي كانت تبلغ ٦٠ مديرية.

الثانوية والمعاهد المتوسطة التي وجدت أيام الاستعمار فتم استقدام مدرسين من الدول الأفريقية كالسنغال وتونس والجزائر للتدريس فيها.

وبعد أقل من ثلاث سنوات تم الانقلاب على هذا النظام وعاد آباء الاستقلال إلى الحكم في عام ١٩٧٨م، وكان من أوائل ما فكروا فيه بعد وضع مؤسسات الدولة الدستورية العناية بالتعليم العالي لإعداد الكوادر التي يحتاج إليها البلد الناشئ، فتم في عام ١٩٨١م إنشاء المعهد الوطني للتعليم العالي في مدينة مكناس القريبة من العاصمة مكناس، كما أنشئ المعهد الصحي في العاصمة مكناس.

وتعد هاتان المؤسسات الباكورة المباركة للتعليم العالي في جزر القمر.

استمر هذان المعهدان في العطاء لمدة تزيد على عشر سنوات ثم تم إقفالهما بحجة الاستغناء عنهما، حيث تم تحقيق الأهداف التي أنشئت من أجلها حسب زعم المسؤولين في ذلك الوقت.

**ولكن بعد هذه الخطوة تم فتح معهدين عاليين من طراز آخرهما:**

— معهد إعداد معلمي المرحلة الابتدائية، وفتح له فرع في كل جزيرة.

— المدرسة العليا للعلوم الإدارية والتجارية في العاصمة مكناس وذلك في التسعينيات.

كما تم افتتاح المعهد العالي للتعليم والتكوين سنة ١٩٩٨م، وكل هذه المعاهد كانت مدة الدراسة فيها سنتين فقط وتمنح دبلوماً عالياً في مجال تخصصاتها، كما أنها كانت تدرج في برامجها التي تدرّس جميعاً باللغة الفرنسية اللغة العربية لغة حية، نظراً لكونها لغة رسمية في البلد، بل بعض هذه المعاهد كان فيها أقسام باللغة العربية، وهي التي ستركز الحديث حولها.

وفي عام ٢٠٠٢م وبمبادرة شجاعة من الكوادر القمريّة العائدين من الوطن العربي متسلحين بسلاح العلم والمعرفة ومشحونين بالغيرة على اللغة العربية والدراسات الإسلامية؛ شهدت البلاد مولد أول مؤسسة للتعليم العالي تحمل مسمى كلية وتوضع على مستوى كلية، وهي كلية الإمام الشافعي للعلوم الإسلامية والعربية، ليستوحي منها

المسؤولون في الدولة فكرة إنشاء الجامعة القمرية سنة ٢٠٠٣ وضم هذه الكلية إليها، وتحويل جميع المعاهد العليا التي سبقت الإشارة إليها إلى كليات. فصار الحديث الآن عن التعليم العالي في جزر القمر حديثاً عن جامعة جزر القمر التي تأسست سنة ٢٠٠٣، والتي تضم أربع كليات ومعهدين ومدرسة وطنية ومركزاً للتعليم المستمر في الجزيرة الكبرى، وفرعاً في كل من جزيرة هنزوان وموهيلي، ومن بين كلياتها كلية متخصصة للعلوم الإسلامية والعربية.

هذه مسيرة التعليم العالي في جزر القمر منذ الاستقلال إلى الآن، وحيث إن هذه المؤسسات جميعاً اعتنت باللغة العربية بدرجات متفاوتة، إلا أن بعض المؤسسات بها أو كانت بها أقسام للغة العربية والدراسات الإسلامية، فسيتم التركيز عليها دون إغفال الإشارة إلى كل جهد تعلّق بخدمة هذه اللغة الشريفة في بقية المؤسسات قلّ أو كثر.

**وعليه؛ فالمؤسسات التي يجدر الحديث عنها هنا هي:**

المعهد الوطني للتعليم العالي بمفوني الذي تأسس عام ١٩٨١م.

المعهد العالي للتعليم والتكوين الذي تأسس عام ١٩٩٨م.

كلية الإمام الشافعي للعلوم الإسلامية والعربية التي تأسست عام ٢٠٠٢م، وهذه يخصص لها مطلب خاص.

تمثل هذه المؤسسات الثلاثة ثلاث مراحل مهمة مرّ بها تعليم اللغة العربية والدراسات الإسلامية على مستوى المرحلة الجامعية والدراسات العليا.

## **أولاً: المعهد الوطني للتعليم العالي بمفوني:**

أسسه عام ١٩٨١م الرئيس أحمد عبدالله عبدالرحمن<sup>(١)</sup> ليعد مدرسي المعاهد الإعدادية التي أنشأتها الحكومة الثورية لعلي صالح، والتي كان يدرّس فيها حملة الشهادة الثانوية قليلو الخبرة.

(١) أول رئيس للجمهورية القمرية وهو أبو الاستقلال ولكن أطاح به الرئيس الاشتراكي علي صالح بعد الاستقلال بأقل من شهر ثم عاد إلى الحكم عام ١٩٧٨م إثر انقلاب عسكري قضى به على علي صالح.

فرأى المسؤولون أن أقل ما يمكن أن يُقبل تأهيلاً لمعلم هذه المرحلة هو الدبلوم العالي الذي يناله الدارس بعد سنتين من الدراسة الجامعية، أي أقل من الليسانس.

فصدر الأمر بإنشاء هذا المعهد لتحقيق هذا الهدف، لذا كانت الأقسام العلمية فيه مقتصرة على المواد التي تدرس في التعليم العام، إضافة إلى المواد التربوية التي يحتاج إليها من يعد لمهمة التدريس في هذه المرحلة.

فضم أقسام الرياضيات والفيزياء والعلوم الطبيعية واللغات الفرنسية والإنجليزية، وكان منها قسم مزدوج للغة الفرنسية واللغة العربية<sup>(١)</sup>.

وهذا القسم هو المعني بإعداد مدرسي اللغتين العربية والفرنسية، وبالنظر إلى خطط الدراسة فيه نجد أن المواد الدراسية على ثلاثة أقسام:

مواد اللغة العربية كالنحو والصرف والنصوص الأدبية واللهجات والأصوات.

مواد اللغة الفرنسية وآدابها كذلك.

ثم المواد التربوية كعلم النفس وطرق التدريس والوسائل التعليمية ونحو ذلك، ويلحظ أيضاً أن هذا القسم الأخير كان يحظى بعناية أشد من القسمين الأولين.

إلا أن تدريس اللغة العربية وعلومها حظي بهيئة تدريسية متميزة أعطته دفعة قوية ما جعل إنتاج هذا المعهد طيباً.

### مخرجات هذا المعهد:

أما خريجو هذا القسم بل المعهد بأكمله فهم الذين تولوا التدريس في المعاهد الإعدادية كما أعدوا له، فقد حقق المعهد أهدافه، ويلحظ أن هؤلاء المدرسين تميزوا بكفاءة

(١) كانت الأقسام مزدوجة بحيث يكون المتخرج فيها قادراً على تدريس مادتين في المرحلة المتوسطة، فمثلاً قسم الفيزياء والرياضيات هو قسم واحد، وقسم العلوم الطبيعية والرياضيات هو قسم واحد، وقسم الفرنسية والإنجليزية قسم واحد، وقسم الفرنسية والعربية قسم واحد وهكذا.

تربوية جيدة وإن كانت حصيلتهم العلمية في اللغة العربية محدودة نظراً لقصر المدة، ولكون المواد العربية التي درسوها هي تلك التي يعدون لتدريسها في المعاهد وهي اللغة العربية للناطقين بغيرها، فلم يدرسوا كثيراً من فنون هذه اللغة كالأدب العربي بعصوره والبلاغة والخطابة ونحو ذلك، وما تعلموه تعلموا منه شيئاً وغابت عنهم أشياء كثيرة.

ولم يكتب لهذا المعهد أن يتطور، إذ بحلول عام ١٩٩٤م قدرت وزارة التربية الوطنية أن المعهد قد حقق أهدافه وامتألت المعاهد الإعدادية بالمدرسين، بل صار هناك فائض لا يجد مكاناً لتوظيفه، فقررت إغلاق المعهد لتسدل الستار على مؤسسة كانت هي الأمل لمن حصل على الشهادة الثانوية وعجز عن السفر إلى الخارج لإكمال تعليمه العالي، بل وكانت مصنعاً قوياً لإنتاج مربي الأجيال، وبتوقفه توقف التعليم العالي برمته ومنه التعليم العربي في هذه المرحلة.

## ثانياً: المعهد العالي للتعليم والتكوين:

بعد إقفال المعهد الوطني للمبرر المذكور توجهت الحكومة نحو إعداد مدرسي المرحلة الابتدائية، فأنشئ معهد لإعداد المعلمين في كل جزيرة، وكانت مادة اللغة العربية لغة محادثة ضمن برامج التعليم، وليس هو إعداداً لمعلم اللغة العربية للمرحلة الابتدائية، لأنه إلى هذا الوقت لم تكن العربية تدرس في المرحلة الابتدائية، وإنما الهدف أن يلم معلم المرحلة الابتدائية ببعض الكلمات في اللغة العربية.

كما أن المرحلة ذاتها شهدت إنشاء المدرسة الوطنية للعلوم الإدارية والتجارية، وكانت اللغة العربية ضمن المواد المقررة على المستوى نفسه في معاهد إعداد المعلمين، واختاروا مادة سميت (اللغة العربية لغة أعمال) للتدريس في هذا المعهد.

### نشأة المعهد وهدفه

بعد أربع سنوات من إقفال المعهد الوطني وزيادة عدد الحاصلين على الشهادة الثانوية العاطلين عن مواصلة تعليمهم الجامعي لعجزهم عن السفر، فكرت الدولة

من جديد في إعادة فتح معهد وطني للتعليم الجامعي، وهذه المرة ليس الهدف إعداد مدرسي مرحلة معينة، وإنما الهدف إيجاد مكان يواصل الطلبة تعليمهم فيه ريثما يجدون الفرصة للانتحاق بالجامعة في الخارج. وتم ذلك في عام ١٩٩٨م حيث قرر الرئيس محمد تقي عبد الكريم إنشاء المعهد العالي للتعليم وإعادة التأهيل (إسفين)، الذي ضم أقساماً علمية على غرار الأقسام العلمية في الكليات، فكان فيه قسم للغة الفرنسية وآدابها، وقسم للعلوم الطبيعية، وقسم للتاريخ والجغرافيا، وقسم للفيزياء والكيمياء، وكان فيه أيضاً قسم للغة العربية والحضارة الإسلامية.

وقد عُني هذا القسم بتدريس بعض علوم اللغة العربية كالنحو والصرف والبلاغة والأدب، وكذا مواد الثقافة الإسلامية والحضارة الإسلامية، إضافة إلى مناهج البحث وبعض متطلبات المعهد كاللغة الفرنسية.

إلا أن الملاحظ أن هذه المواد الدراسية لم يوضع لها محتويات محددة من قبل مختصين وإنما ترك إلى المعيدین الذين كُلفوا بالتدريس فيه وضع هذه المحتويات، فكان كل واحد منهم يدرّس ما سهل عليه، دون الالتزام بمقرر محدد ولا تحديد أهداف.

فربما تجد الموضوع الواحد يدرس في السنتين الأولى والثانية، بل ربما لجأ بعض هؤلاء المعيدین إلى النصوص المقررة للمرحلة الثانوية ودرسوها في هذه المرحلة لسهولة.

وخريجوا هذا المعهد رغم هذه المشكلات التربوية قد استطاعوا أن يواصلوا تعليمهم الجامعي في الخارج بنسبة لا بأس بها.

ولما وصلت أول دفعة من حملة الدكتوراه من الذين درسوا في الوطن العربي وانخرطوا في ميدان التدريس إلى البلاد ولاحظوا أن المؤسسة القائمة للتعليم العالي العربي؛ وهو معهد (الإسفين)، شكل وهيكلا بدون مضمون متين، فكروا في إيجاد مؤسسة للتعليم العالي على مستوى كلية جامعية حتى ينال هذا التعليم حقه، فكانت فكرة إنشاء كلية الإمام الشافعي للعلوم الإسلامية والعربية، التي كانت مقدمة لإنشاء أول جامعة في جزر

القمر هي جامعة جزر القمر، التي بدأت بدمج جميع المعاهد العليا القائمة وتطويرها إلى كليات في عام ٢٠٠٣ أي بعد تأسيس الكلية بسنة واحدة.

## المطلب الثاني: كلية الإمام الشافعي للعلوم الإسلامية والعربية.

### الفرع الأول: التعريف والتأسيس:

جاء في تعريف هذه الكلية أنها (هي كلية إسلامية أهلية تركز على تعليم الناس العلوم الإسلامية والعربية بمختلف تخصصاتها، باتباع طرق التدريس الحديثة، وتتمتع بدمية مالية مستقلة تحت إشراف علمي لدار الإفتاء، وهي المؤسسة الدينية العليا في الدولة)<sup>(١)</sup>. وهكذا بدأت هذه المؤسسة، إذ إن فكرة إنشائها ترجع إلى الدكاترة الأوائل الذين عادوا إلى البلاد من الوطن العربي بعد إدراكهم لواقع التعليم العالي العربي الذي سبق الحديث عنه، كما أن دوافع أخرى شجعتهم على المضي قدماً في إقامة هذا المشروع الأهلي، الذي سرعان ما صار حكومياً رسمياً بانضمامها إلى الجامعة التي أنشأتها الدولة بعد الكلية بسنة بالمرسوم الرئاسي رقم ٠٦-٠٣ بتاريخ ٨/٩/٢٠٠٣م، ومن هذه الدوافع:

#### حاجة المجتمع إلى مثل هذه المؤسسة لتلبية رغبة فئات كثيرة مثل:

- أ- المتخرجين من الثانويات العامة والإسلامية الراغبين في مواصلة تعليمهم في المجال العربي والإسلامي (مثل خريجي معهد الإرشاد - طلاب القسم العربي بالمعهد العالي للتعليم والتأهيل - إسفير).
- ب- الذين نالوا قسماً من التعليم الإسلامي على أيدي المشايخ ويحتاجون إلى المزيد من العلم والتعرف على طرق التلقي الحديثة.
- ج- الكوادر الذين نالوا قسماً من التعليم العام والذين يحرصون على معرفة الإسلام منهج حياة.
- د- الذين تدعوهم حاجة في مجال عملهم إلى الإلمام باللغة العربية أو بقسط منها.

(١) انظر: دليل الكلية والنص الأساسي الأول لها.



كما أن قيام مثل هذه المؤسسات سيكون سداً منيعاً لمواجهة حملة التغريب التي يشهدها العالم الإسلامي عمومًا وجزر القمر خصوصًا باسم العولمة الثقافية، وذلك بغرس القيم الإسلامية في نفوس الناشئة.

## الفرع الثاني: أهداف الكلية:

وقد بُينت أهداف هذه الكلية وحُددت في النقاط الآتية:

١- نشر التعليم الإسلامي المؤصل عن طريق التعليم الجامعي والدراسات العليا، ولاسيما في طبقات الشباب الذين يمثلون ٦٥٪ من سكان الأُرخبيل.

٢- نشر اللغة العربية التي هي لغة القرآن وإحدى اللغات الرسمية في البلاد، وتنمية مواهب الطلاب على تذوق هذه اللغة الرفيعة وما فيها من أساليب الإعجاز.

٣- إعداد كوادر علمية عالية قادرة على حمل مسؤولية الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، يتمتعون - إضافة إلى الحصيلة العلمية الشرعية - بمعرفة عادات البلد وأحواله وخصوصياته، والطرق المناسبة لمعالجة قضاياها في مختلف الميادين، بعيدين عن التأثير بأشكال العنف والإرهاب التي تُلصق بالدين الإسلامي الحنيف الذي هو بعيد عنها.

٤- القيام بالبحوث العلمية التي تسهم في تثقيف الشعب على مختلف مستوياته باللغة العربية والفرنسية والقمرية، وإقامة الدورات العلمية المستمرة لتتوزع على مختلف طبقات المجتمع.

٥- إتاحة الفرصة لمن يرغب في التزوّد بالعلوم الإسلامية ممن تعلم العلوم المدنية ودخل في ميدان العمل، سواء أكان موظفًا حكوميًّا أو رجل أعمال أو غير هؤلاء.

٦- إقامة روابط علمية مع الكليات المماثلة والجامعات الإسلامية في العالم الإسلامي للاستفادة وتبادل الخبرات.

٧- جعل جزر القمر قاعدة علمية لنشر التعليم الإسلامي في ربوع المحيط الهندي، لأنه البلد الإسلامي الوحيد في المنطقة وتحيط به دول كلها حرب على الإسلام أو جاهلة به<sup>(١)</sup>.

## الفرع الثالث: أقسام الكلية:

افتتحت الكلية عند نشأتها بثلاثة أقسام هي<sup>(٢)</sup>:

١- قسم الدراسات الإسلامية، ويُعنى بتدريس علوم القرآن الكريم والسنة المشرفة والعقيدة والفكر الإسلامي والفقه وأصوله والأديان والمذاهب الفكرية المعاصرة، إضافة إلى علوم اللغة العربية التي لا يمكن فهم العلوم الإسلامية بدونها.

٢- قسم اللغة العربية وآدابها، ويُعنى بتدريس علوم النحو والصرف والبلاغة والأدب العربي قديمه وحديثه، وكذا الأدب المقارن والنقد والعروض وفقه اللغة والمعاجم وغيرها من المواد التي لا يستغني عنها الطالب في الدراسات الإسلامية. ويُعنى القسمان بتدريس بعض العلوم التكميلية، كالتربية وطرق التدريس، ومبادئ في علوم الإدارة وعلم النفس، والإنجليزية. علماً بأن دراسة اللغة الفرنسية والحاسوب في الكلية إجبارية في جميع الأقسام.

٣- قسم التعليم المستمر وخدمة المجتمع، ويُعنى هذا القسم بتنظيم الدورات العلمية المكثفة في اللغة العربية لغير الناطقين بها، ودورات في اللغة الفرنسية والإنجليزية والحاسب الآلي للراغبين.

كما يقوم هذا القسم بتنظيم الأنشطة الاجتماعية والثقافية والرياضية داخل الكلية وخارجها.

ويقوم هذا القسم بإصدار الحولية العلمية للكلية (المنبر).

(١) المصدر نفسه.

(٢) انظر: المصدر نفسه، والنشرة التعريفية للكلية.

وفي عام ٢٠١٣م افتتح فرع لها في فرع الجامعة بجزيرة هنزوان، كما تم في عام ٢٠١٧م فتح برنامج ماجستير في التربية لإعداد معلمي اللغة العربية والدراسات الإسلامية في المرحلة الثانوية.

وبمولد هذه المؤسسة دخل تعليم اللغة العربية في المرحلة الجامعية مرحلة جديدة، حيث قامت كلية على غرار كليات اللغة العربية وكليات الدراسات الإسلامية في الوطن العربي الأم في الشكل والمضمون.

### الفرع الثالث: خريجو الكلية:

بدأ خريجو جامعة جزر القمر عمومًا وكلية الإمام الشافعي خصوصًا يشاركون في الحياة العامة كل في ميدان تخصصه، فمنهم من دخل في مجال التدريس، ومنهم من دخل في العمل الإداري، بل ومنهم من يشارك في جهاز أمن الدولة والشرطة، وآخرون في النضال السياسي سواء بتأييد الحكومة الحالية<sup>(١)</sup> أو في المعارضة.

### الفرع الرابع: مقرها وتطور أعداد الطلاب فيها:

مقر هذه الكلية في مدينة مروي العاصمة في وسط المدينة، ولها فرع في فرع الجامعة بهنزوان كما تقدم، ويلحظ التطور الكبير في أعداد طلابها، إذ إنها افتتحت بسبعة وعشرين طالبًا في عامها الأول وبلغ عد طلابها في المقر الرئيس بمروي فقط للعام ٢٠١٧-٢٠١٨ أربعمئة وخمسين طالبًا وطالبة في مرحلتَي الليسانس والماجستير.

### الفرع الخامس: مراحل الدراسة:

الكلية تتبع نظام الدراسة المتبع في الجامعة والمعروف بـ«ل.م.د» أي: الليسانس ٣ سنوات والماجستير سنتان والدكتوراه ٣ سنوات، وتمنح حاليًا ليسانسًا في الدراسات الإسلامية وفي علوم القرآن وفي اللغة العربية، كما أنها تمنح الماجستير في الفقه والأصول وفي علوم التربية.

(١) للتمثيل فقط: مدير مكتب المفتي ومدير مكتب وزير التعمير ومستشار وزير الصحة ومستشار وزير الشؤون الإسلامية حاليًا كلهم من خريجي كلية الإمام الشافعي.

## الفرع السادس: المؤمل في تطوير الكلية والتعليم العالي العربي الإسلامي:

إن المرحلة التي وصلت إليها اللغة العربية في التعليم الجامعي القمري، وما صاحبها من اعتماد الشهادة الثانوية «قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية» من قبل وزارة التربية الوطنية، وكثرة المتخصصين في العلوم الإنسانية بل والتطبيقية من خريجي الجامعات العربية والإسلامية، يجعل طموح العاملين في هذا الميدان كبيرة وعزائمهم عالية، ويسمح بالتفكير في الانتقال إلى مرحلة تعريب العلوم الإنسانية ثم التطبيقية على المدى البعيد وبالتدرج والمرحلية.

لذا تقدمت كلية الإمام الشافعي إلى المجلس العلمي لجامعة جزر القمر بطلب فتح بعض الأقسام العلمية في العلوم الإنسانية لتُدْرَس باللغة العربية في الكلية، وإن كانت موجودة في كليات أخرى للجامعة إلا أنها تدرس باللغة الفرنسية، وهذه الأقسام هي: قسم التاريخ والحضارة الإسلامية في أفريقيا، قسم العلوم الإدارية، قسم الإعلام والصحافة. ونسأل الله أن ترى هذه الأقسام النور في المستقبل القريب بإذن الله تعالى.

ولا يستبعد أن تتطور هذه الكلية في مستقبل الأيام إلى أن تصبح قاعدة علمية متينة ومنارة لنشر العلم والمعرفة في منطقة المحيط الهندي، إذا نظرنا إلى نموها السريع ووقوف الأشراف من جامعات إسلامية في الوطن العربي ومنظمات دعوية وشبابية بجانبها.

هذا ما أمكن تسطيره في هذه العجالة عن مؤسسات التعليم الإسلامي في جزر القمر وبالله التوفيق.

## الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبشكره تكون الزيادات، حيث أعان على إتمام هذه الورقة التي يمكن أن ألخص أهم النتائج التي توصلت إليها فيما يأتي:

١- فضل السادة العلويين في نشر العلم الشرعي في الشرق الأفريقي عامة وفي جزر القمر خاصة، حيث يلحظ أن أهم المدارس التي وجدت في عهد الاستعمار وحافظت على هوية الأمة كانت من إنشائهم.

٢- الدور الكبير الذي أدته هذه المدارس، حيث هيأت الأفواج الأولى من الشباب الذين نهلوا العلوم في الجامعات الإسلامية ورجعوا ليحملوا مشاعل النور في البلاد بعد الاستقلال.

٣- تطور المدارس العربية الإسلامية في مناهجها ومبانيها ونظامها الأكاديمي.

٤- تحول هذه المدارس جميعاً إلى مدارس ذات تعليم مزدوج يشمل المناهج العامة التي تدرس في معاهد الدولة ومنهج العلوم الشرعية واللغة العربية.

٥- انتقال التعليم العربي من تعليم أهلي إلى تعليم رسمي باعتماد الشهادة الثانوية الشرعية، وافتتاح كلية الإمام الشافعي للعلوم الإسلامية والعربية.

٦- جهود المنظمات الدعوية العالمية في نهضة التعليم الإسلامي في جزر القمر بعد استقلالها.

٧- فضل خريجي الجامعات الإسلامية من أبناء جزر القمر في نشر العلوم الإسلامية والإسهام في بناء الوطن في شتى المجالات، وطموحاتهم المستمرة لتطوير التعليم ومؤسساته في البلاد.

٨- تفاوت مستوى مخرجات هذه المدارس العلمي بين الأجيال الأولى والأجيال الحديثة، حيث يلحظ أن الأجيال الأولى مستواهم في العلوم الشرعية واللغة العربية أقوى من الأجيال اللاحقة الذين تعلموا فيها بعد إدخال المناهج المزدوجة.

وبناء على هذه النتائج يمكن تقديم بعض التوصيات المهمة التي تدفع هذا التعليم إلى الأمام وهي:

١- أن يُعلّم طلاب القسم الشرعي بعض المهن اليدوية عند التخرج حتى يعتمدوا على أنفسهم في كسب العيش، لمن لم يوظف في الحكومة ولم يجد من يكفله، لاسيما أن هذه سنة علماء السلف كانوا يجمعون بين العلم الشرعي ومهنة في اليد. فهذا يشجع الشباب على المواصلة في هذا المسار.

٢- أن يُختار لهذه الأقسام الطلاب النابغون كالذين يرشحون للتخصصات العلمية، فبقدر ما نحتاج إلى طبيب ماهر يعالج الناس ولا يقتلهم، نحتاج إلى الفقيه المحنك الذي يحسن توجيه المجتمع ويفتي له، فخطأ الطبيب قد يقتل مريضاً واحداً وخطأ العالم قد يهلك أمة.

٣- أن يكون أصحاب هذه المدارس مجلساً موحداً لينظموا مسارهم ويوحدوا صفهم، فهذا يساعدهم ويحقق بينهم التعاون على البر والتقوى، حيث يحمل قلوبهم ضعيفهم.

٤- ألا تتخلى المنظمات الدعوية العالمية عن دورها في دعم هذا التعليم الذي يحتاج الناس إليه دائماً، فأمة جاهلة بدينها جديرة بأن لا يحترمها أحد. وفي الآونة الأخيرة بدأت هذه المنظمات في التخلي عنها ما أضعف أداءها ضعفاً واضحاً، مثل معهد الإرشاد الذي تخلت عنه الهيئة الكويتية منذ أمد بعيد، وفي هذا العام نقلت رابطة العالم الإسلامي معاهدها إلى هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية التابعة لها، فلا أدري ﴿أَشْرَأُ بِدَيْمَنٍ فِي الْأَرْضِ أَمَّا أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾<sup>(١)</sup>.

هذا ما تيسر تحريره وتم تبليغه في موروني يوم الأربعاء ٢٦ سبتمبر ٢٠١٨م

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(١) سورة الجن آية ١٠

## مصادر الورقة ومراجعتها

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- تسجيل صوتي عن طريق الوتساب مع السفير حاجي عبدالله عبد الحميد المقيم حالياً في قطر - يوم ٢٤/٩/٢٠١٨ م.
- ٣- التعليم العربي في جزر القمر أطواره وسبل تطويره، للدكتور عبدالرؤوف عبده عمر - رسالة دكتوراه تمت مناقشتها في جامعة أم درمان الإسلامية سنة ٢٠١٢ م.
- ٤- تقرير عن مدرسة النور الإسلامية، لديرها السابق الأستاذ / أنور علي سعد، لعام ٢٠١٨ م.
- ٥- حاضر العالم الإسلامي، لوثر وبستودار - ترجمة: عجاج نويض مع زيادات للأمير شكيب أرسلان - دار الفكر للطباعة والنشر ط ٤ سنة ١٩٧٣ م.
- ٦- دليل كلية الإمام الشافعي للعلوم الإسلامية والعربية لسنة ٢٠٠٢ م.
- ٧- الفتوى، أركانها، أثر تغيرها على السياسة الشرعية، مؤسساتها ورجالاتها في جزر القمر، بحث غير منشور للدكتور سعيد برهان عبدالله.
- ٨- القرارات الوزارية والمراسيم الرئاسية المتعلقة بالمؤسسات والنظم التعليمية والمنشورة في الجريدة الرسمية.
- ٩- مقابلة شفوية عبر الهاتف مع الأستاذ أحمد أبو بكر إمام وخطيب جامع القاسمي بمروني - يوم ٢٤/٩/٢٠١٨ م.
- ١٠- مقابلة شفوية عبر الهاتف مع مدير مدرسة حمدان بن راشد آل مكتوم الأستاذ محمود هدار - يوم ٢٥/٩/٢٠١٨ م.
- ١١- مقابلة شفوية عبر الهاتف مع مدير مكتب رابطة العالم الإسلامي بمروني يوسف مدوهوما - يوم ٢٥/٩/٢٠١٨ م.

# المبحث الثالث

## علماء جزر القمر

إعداد الدكتور/ إسماعيل مولد  
عضو هيئة التدريس بكلية الإمام الشافعي

موسسة اللغة العربية

اللغة العربية في جزر القمر





## المقدمة

من الملحوظ لأول وهلة أن من المؤثرات الثقافية التي ترتبت على توطن الإسلام في جزر القمر وما صاحب ذلك من انتشار اللغة العربية فيها، ظهور العلماء والشعراء القمريين الذين كانوا في الواقع من أبرز الآثار الملموسة الناتجة عن «أسلمة» وتعريب هذا الأرخبيل، بل كانوا - وظلوا كذلك - هم المشاعل المتوهجة والعوامل المشجعة ذات التأثير الإيجابي والتفاعل الحي في مسار الدعوة الإسلامية وانتشار الثقافة العربية ولغة القرآن في الأرخبيل.

إن دور العلماء في الأرخبيل في نشر الإسلام وتعاليمه دور محوري قديماً وحديثاً، لأنهم بعد ما ترعرعوا ودرسوا العلوم الشرعية وفنون الأدب واللغة العربية على أيدي العرب المهاجرين من الدعاة والعلماء والتجار استلموا الراية من أيديهم، وأدلو بدلوهم، وكانوا هم في الطليعة دائماً في حفظ هذا الدين، والقائمين على إشاعته ونشره وتعميمه بين الناس، وتحملوا تجاه ذلك كل المسؤوليات والتبعات كاملة، وقادوا مسيرة التوعية والصمود بالحكمة والموعظة الحسنة، ذائدين ومدافعين عن حياضه ضد هبوب الرياح العاتية والتيارات الجارفة المتدفقة من جميع الجهات والجبهات الداخلية والخارجية، واستطاعوا بتوفيق الله تمكين الإسلام في الأرخبيل، وتحبيبه إلى السكان، وزرع قيمه الحضارية وثقافته الإنسانية ولغته العربية في وجدانهم وحياتهم الروحية والاجتماعية، ليس في الأرخبيل القمري فحسب بل تعدى حدوده وأبعاده إلى البلدان المجاورة كتانزانيا وكينيا ومدغشقر.

ونلمس ذلك من خلال جهود بعض أولئك العلماء في التعليم والتدريس والتوعية والتثقيف، وعن طريق بعض كتبهم ومؤلفاتهم وإسهاماتهم الأدبية والفكرية التي هي الواجهة أو المرآة التي تعكس الموروث الثقافي والحضاري والسلوك الاجتماعي للشعب القمري المسلم، كما أنها - في الوقت ذاته - تشكل لبنة قوية في البناء الثقافي والحضاري والاجتماعي للأمة الإسلامية والعربية.

هذا وقد أنجبت جزر القمر مئات من كبار العلماء والشعراء، الذين كانت لهم بصمات واضحة وإسهامات رائعة وجهود إبداعية وفنية رائدة، بقيت مطمورة قابعة في أضيابيرودياجيرا المكتبات الخاصة تعاني الإهمال والنكران.

وفي هذا المبحث سوف نسلط الضوء على بعض نماذج من أولئك العلماء الأجلاء، الذين نحسب أنهم قد أسهموا بفاعلية في انتشار اللغة العربية والثقافة الإسلامية وخدمة الإسلام في الأرخبيل وتشكيل سلوكه الاجتماعي، من خلال ما يتماشى مع أهداف هذا البحث ويثريه، ومن أولئك العلماء:

## أولاً: أحمد قمر الدين: اسمه ومولده:

هو: أحمد علي مسوما، الملقب بـ«قمر الدين»، ولد في «بوني» بمنطقة همهامي شمال شرق جزيرة القمر الكبرى سنة ١٨٨٢م، في أسرة متدينة، حيث عمل أبواه على تربيته تربية حسنة. وكان أبوه «علي مسوما» من أصل «بنغوا»<sup>(١)</sup> بجزيرة القمر الكبرى - عالماً جليلاً، درس العلوم الإسلامية والعربية في زنجبار.<sup>(٢)</sup>

## تعليمه:

حفظ القرآن الكريم وتعلّم مبادئ العربية بمدينة «مبين»<sup>(٣)</sup> حيث نشأ فيها، ثم التحق بمدرسة الحبيب عمر بن سميط الذي أخذ عنه ألفية ابن مالك ومنهاج الطالبين وغيرهما، كما أخذ علوم البلاغة والعروض في جزيرة موريشيوس - بعد أن سافر إليها - عن العالم الجليل علي أبي بكر بن عبد الرحمن الصديق، فجاء تكوينه جامعاً بين علوم الدين واللغة والأدب.

(١) قرية تقع شمال جزيرة القمر الكبرى.

(٢) ينظر: الحضارة الإسلامية في جزر القمر للدكتور/ مصطفى الزباخ ص ٨٦ - ٨٩. منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م. والدكتور/ كرهيل ص ٢٣٢.

(٣) حاضرة منطقة همهامي شمال شرق جزيرة القمر الكبرى.

## رحلاته وأعماله:

قام برحلات كثيرة جاب فيها معظم جزر محيط الهند كجزيرة مايوت المحتلة ورينيو ومريشيوس ومدغشقر، كما قام بزيارة بعض الدول العربية كمصر والمملكة العربية السعودية.

ولقد كان لهذه الرحلات أثر كبير في تعميق الإحساس بالإصلاح والتغيير عنده، حيث استفاد من الحركات التحررية، فعمل على توجيه الطلاب القمريين نحو خدمة وطنهم ومجتمعهم، كما ساعدته ثقافته اللغوية (العربية والفرنسية والإنجليزية والسواحلية والملاغشية)، على وضع القواعد لتيسير تعلّم بعض اللغات كالقمرية والملاغشية، كما أهله ليكون مستشاراً لدى كل من الرئيس سيد محمد شيخ والأمير سيد إبراهيم.

## أعماله:

- عمل مديعاً باللغة العربية بالإذاعة الملاغشية.
- كاتب عدل بالمحكمة الشرعية في بلدة «انسجين» وكان القاضي بها الشيخ / عبد اللطيف مسافومو آنذاك.
- مترجم بمكتب الصحافة بـ«تنناريقوا» عاصمة مدغشقر.
- محافظ أساس عام.
- محافظ بالدرجة الممتازة.<sup>(١)</sup>
- مستشار خاص لرئيس مجلس الحكومة في جزر القمر.

## آثاره:

لقد ترك هذا العالم الجليل آثاراً شتى تغطي عليها الثقافة الأدبية واللغوية، فألف في المجال اللغوي كتاب «القاعدة الأحمدية» لتقعيد اللغة القمرية، شعوراً منه بمخالطة

(١) ينظر: كرهيلاص ٢٣٢.

اللغة الفرنسية الطاغية على المجتمع القمري في المجال الإداري والثقافي، كما ترك كتيباً في أسماء الله الحسنى المسمى بـ «القصيدة الأسنى في أسماء الله الحسنى»، بدأ بقوله:

بدأت باسم الله والحمد شاكرًا وداعياً المولى القريب وذاكرا

ويعد إلى جانب ذلك من شعراء جزر القمر الذين حملوا لواء حركة البعث، حيث نظم قصائد شعرية في شتى المناسبات الدينية والإخوانية والحضارية، إلا أن عاطفته تكون أكثر توقداً في رثائه لإخوان حملوا معه قناديل النور، كالشيخ سالم ودعان الذي يقول فيه:

لاحي إلا من تفرد بالبقاء فاصبر فكل حادث بقضاء

مستلهمًا في هذه المرتبة المناخ الحكمي والوعظي الداعي إلى الرضا بالقضاء لشعر الإمام الشافعي القائل:

دع الأيام تفعل ما تشاء وطب نفساً إذا حكم القضاء

ومن هذا القبيل قصيدته في رثاء خطيب جامع مدينة «مبين» التي مطلعها:

نكي أخاً كان في الإخوان ذا همم خطيبنا في الإرشاد يجتهد

ولم يبق الشاعر أسيراً لأغراض التقليدية، بل نجده يستوحي أعماله من قضايا العصر، كقصيدته في نزول الإنسان على سطح القمر التي مطلعها:

سبحان الخالق كل عالم حمداً لمن قد كرم ابن آدم

فضله فنعم ما قد كرم إذ علم الإنسان ما لم يعلم

ويعد أحمد قمر الدين من راعيل حركة البعث الأدبي في جزر القمر ممن أسهموا في إيقاظ الشعور الوطني والأدبي لدى الجيل القمري الجديد، الذي يرتطم بالصخور في بحثه عن انتمائه الإسلامي السليم.

ويعد أيضاً من رواد تعريب الإدارات الحكومية في البلاد، كبيت السلام، ودار السعادة، ودار النجاة وغيرها.

كما أسس أول جمعية إسلامية في الأرخبيل، وكانت بمثابة وزارة الشؤون الإسلامية حينذاك، وكان هو الأمين العام لتلك الجمعية.<sup>(١)</sup>

## وفاته:

توفي - رحمه الله - في عام ١٩٧٤م ودفن بمدينة مبيني،<sup>(٢)</sup> وقام برثائه في يوم «الأربعينية» من رحيله أحد تلامذته السيد عظيم الدين بن يوسف بقصيدة مطولة مطلعها:

|                            |                            |
|----------------------------|----------------------------|
| مات المجاهد ذوالنصائح الذي | أحيا العلوم صلاحه وعدلا    |
| أوه - أفجعنا المنون بأحمد  | قمر به الدين أضاء جمالا    |
| إن العلوم قد بكت بوداعه    | دمعاً جرى يرث القلوب عضالا |
| وبكى محيط الهندي كذا ساخطا | فترى السواحل والمياه جبالا |

## ثانياً: الحبيب عمر بن سميط:

### اسمه ونسبه:

هو الحبيب عمر بن أحمد بن أبي بكر بن سميط العلوي.

### مولده ونشأته:

ولد في منطقة «إستندرا» بجزيرة القمر الكبرى في ٢٤ سبتمبر ١٨٨٦م / ٢٨ ذو الحجة ١٣٠٣هـ في أسرة متدينة، كان والده من علماء العصر الذين اشتغلوا بالقضاء والتدريس والتأليف فنشأ الحبيب عمر مولعاً بالعلوم، دخل الكتّاب ببلدته «إستندرا» ثم التحق بوالده أحمد بن أحمد بن أبي بكر بن سميط في زنجبار وحضر موت، حيث أخذ عنه وعن أساتذته آخرين العلوم الدينية والأدبية واللغوية وعلوم الحساب والنجوم، كالأستاذ عبدالله باكثير، وعمه السيد طاهر بن عبد الوهاب بن سميط الذي عني بتربيته وتوجيهه نحو تربية إسلامية فاضلة طوال خمس سنوات.

(١) مقابلة مع الدكتور عبد الحكيم محمد شاكري في ١٢/٤/٢٠١٢م

(٢) انظر: الحضارة الإسلامية في جزر القمر، مرجع سابق ص ٨٦ - ٨٩ م

## تعليمه:

كان لوصايا عمه طاهر أثر كبير في حياته، حيث حَبَّب إليه ملازمة مجالس العلماء، وكان للأستاذة «جدة سالمة» بكتابتها التربوي أثر في شخصيته التي جاءت شغوفة بالأخذ عن كبار العلماء، فأخذ عن والده، وعن الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي، والحبيب محمد بن هادي السقاف.

## أعماله الإصلاحية:

يعد الحبيب عمر من أعلام الحركة السلفية في جزر القمر، حيث حمل لواء الإصلاح الديني والاجتماعي والتربوي، فدعا إلى الفهم السليم للدين الإسلامي وتحريره مما علق به من خرافات، وأعاد للمسجد دوره التربوي، فأصبح مدرسة للتعليم بعد أن اقتصر دوره على أداء الصلاة، كما شارك في تأسيس عدة جمعيات إسلامية لتوحيد العمل الإسلامي وتطوير مناهجه، أشهرها: جمعية «أبناء الصفا» في إستندرا، وجمعية «إخوان الهدى» في مروني، كما يعد مؤسس الطريقة العلوية ومنظرها في الديار القمرية، ولم يكن مفهوم الإصلاح عنده مقتصرًا على النواحي الدينية والتربوية فحسب، بل كان مفهومًا شاملاً حضاريًا، يتأسس عنده على التلازم بين الجانب الديني والاجتماعي والتربوي والوطني، وبذلك احتلت هموم المجتمع الاقتصادية والمعيشية أهمية كبرى في رسالته، وفي هذا الصدد نجده يقوم ببناء عدة آبار بعد أن لاحظ قلة الماء في جزيرة القمر الكبرى، وأفتى بعدم استعمال مائها في غير الشرب، وبئر قرية «بهان» خير شاهد، كما حمل لواء الدعوة إلى وحدة الصف الإسلامي، والتعريف بوضعية جزر القمر عبر أسفاره المختلفة، وبذلك نستطيع أن نعهده رائدًا لمدرسة الإصلاح الشمولي التي يلتقي فيها الوعي الديني بالاجتماعي والوطني والتربوي، كمدرسة جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده السلفية.

## آثاره ووفاته:

ترك الحبيب عمر آثاراً شتى في مختلف المعارف منها:

أ- في السيرة الذاتية، ألف كتاب «النفخة الشذية» يتحدث فيه عن أسفاره وشيوخه.

ب- في العلوم الدينية، ألف كتاب «هدية الإخوان لشرح عقيدة الإيمان» لشرح العقيدة الإسلامية، وألقى عدة خطب في الوعظ والإرشاد كخطبته في صوم عاشوراء، ونظم أشعاراً في شتى المناسبات الدينية والاجتماعية، ومن ذلك مرثيته في الشيخ محمد المعروف التي مطلعها:

معروفنا معروفنا مصباحنا في ليلنا

كما وضع عدة فتاوى أبانت سعة علمه ودقة اجتهاده، وأهّلته لأن يصبح مفتي جزر القمر الأكبر دون منازع إلى أن توفي سنة ١٩٧٤م، فرثاه خلفه مفتي الجزر الأكبر سيد محمد عبدالرحمن بهذه القصيدة التي مطلعها:

رزة رهيب حل بالإسلام وفجيعة أوهت قوى الأحلام  
قطب له شهدت أئمة العصر بالفضل من مولاه والإكرام

وقد خلف مدرسة تتلمذ عليها عدد كبير ممن حمل رسالة التوعية من بعده. أشهرهم: المفتي الأكبر سيد محمد عبدالرحمن، والدكتور عمر عبدالله موييني بركة، والأستاذ الشيخ محمد المعروف.<sup>(١)</sup>

## ثالثاً: سيد محمد عبدالرحمن: نسبه ومولده:

هو محمد بن عبدالرحمن بن أحمد «موييني مكو» ابن الشيخ سالم بن ناصر بن أحمد محضار بن عيدروس بن أبي بكر بن سالم، ينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب رضي

(١) مصطفى الزياخ، مرجع سابق.



الله عنه، ولد سنة ١٩١٢م في قرية «حاحايا» بجزيرة القمر الكبرى من أبوين صالحين ربياه تربية إسلامية محافظة.

### تعليمه:

تعلّم في كُتّاب والده العربية وحفظ القرآن الكريم، ثم سافر لنزجبار حيث أخذ من علمائها ومعاهدها المختلفة معارف متنوعة، فجاء بذلك واسع المعارف متنوع العطاء.

### وظائفه ونشاطه:

- كان عضواً في مجمع الفقهي الإسلامي.
- عمل مدرساً وواعظاً وقاضياً لمنطقة مروني وهمبو، ثم مفتياً للديار القمرية.
- ومن أنشطته المتنوعة ما يأتي:
- أ- عاد إلى البلاد عام ١٩٧٩م قبل وقف الانقلاب في زنجبار فأسس مدرسته التي سماها (المدرسة السلفية) بموروني، وأنشأ مع الشيخ قمر الدين جمعية العلماء وإخوان الهدى.
- ب- أسس جمعية «الرابطة الخيرية الإسلامية» سنة ١٩٨٥م، التي عملت على توحيد جهد الدعاة، وإحياء التراث الإسلامي، والمحافظة على حقوق المرأة المسلمة في ضوء الكتاب والسنة.
- ج- قام بتفسير القرآن الكريم خلال شهر رمضان المبارك بالجامع الكبير بالعاصمة مروني.
- د- عمل على توعية المجتمع القمري بخطبه وفتاواه ومواعظه وأحاديثه الإذاعية المختلفة، ما جعله علماً من أعلام الإصلاح في جزر القمر في العصر الحديث.

### دوره الإصلاحي:

يعد سيد محمد عبدالرحمن رائداً للمدرسة الإصلاحية التي تأثرت بمناهج السلفية القديمة عند ابن تيمية وابن قيم الجوزية، والحديث عند الأفغاني ومحمد عبده، حيث دعا إلى:

- أ- الفهم السليم للدين الإسلامي.
- ب- ضرورة الأخذ بأسباب التطور مع المحافظة على الروح الإسلامية.
- ج- مقاومة التيارات المضللة كالشيوعية.
- د- ضرورة تعليم المرأة واحترام حقوقها.
- هـ- الاهتمام بالتربية والتعليم أساس كل تطور، كما جاء في محاضراته بتاريخ ٢٩ / ١١ / ١٩٨٨ م.

### آثاره ووفاته:

من آثاره في المجال الأدبي:

له قصائد شعرية في مختلف المجالات، من ذلك مرثيته في الشيخ سالم بن عامر بويبح، ومطلعها:

مصاب عظيم في معاهدنا تربي      فظلت به تبكي المدائن والقري

وقصيدته في مدح الملك فيصل بن عبدالعزيز، ومطلعها:

سلام على حامي الحمى والمشاعر      وأسمى تحياقي أتت من مشاعري  
ملك إذا عد الملوك مقدم      عليهم جميعاً بالاعلا والمفاخر

وفي المجال الديني: ألف في شتى الجوانب الدينية، مدافعاً وهادياً وشارحاً مؤلفات نذكر منها ما يأتي:

أ- الطريقة المرضية لأداء صلاة الجمعة / مخطوط لدى الشيخ الجيلان.

ب- النصوص الشرعية في إثبات الملكية الفردية / مخطوط.

ج- كتاب تحذير البلاد من المضلات الإلحادية / مخطوط.

د- مجموع فتاواه في قضايا مختلفة / مخطوط بملك القاضي الجيلان.

كما كتب مقالات تؤكد سلفيته وتشبثه بأهداف السلف الصالح منها: (القول القيم مما يروي ابن تيمية وابن القيم الجوزية).

ويعد سيد محمد عبدالرحمن رائد مرحلة من الوعي الديني القمري بدون منازع. مرحلة حمل فيها علم الإصلاح بمفهومه الحضاري الشامل، متجاوزاً بذلك مرحلة الإصلاح التي دارت في إطار ديني خالص، وبذلك كان مؤسساً لمدرسة إصلاحية جديدة تتلمذ عليه عدد من الدعاة.

### وفاته:

لم يزل مفتياً للديار القمرية إلى أن انتقل إلى جوارربه في أحد المستشفيات بباريس في نوفمبر ١٩٩٠م، ونُقل جثمانه ليُدفن في جزر القمر، رحمه الله تعالى رحمة واسعة، وأُسكنه في فسيح جناته.<sup>(١)</sup>

وكان مما قاله الأستاذ / نورالدين محمد طويل، الذي يعمل حالياً إماماً وخطيباً في مسجد «فرساي» بضاحية باريس في رثاء سماحته:

ماذا أقول وجزرنا تتألم لفقداه من بالماكارم يعلم<sup>(٢)</sup>

## رابعاً: الدكتور عمر عبدالله مويني بركة:

### اسمه ومولده:

هو الدكتور عمر عبدالله الملقب بـ«مويني بركة»، ولد في جزيرة زنجبار في عام ١٩١٨م من أبوين قمريين.

(١) ينظر: الحضارة الإسلامية، مرجع سابق ص ٩٦-٩٨.

(٢) ينظر: كرهيل ص ٢٣٤.

## تعليمه:

دخل كتاتيب زنجبار فحفظ القرآن الكريم وعلوم الدين واللغة والأدب على أيدي مشايخ زنجبار آنذاك، والجدير بالذكر أنهم كانوا قمرين، ثم درس في مدرسة ابتدائية اسمها «بريمار سكول»، ثم سافر إلى أوغندا والتحق بمعهد «مكرر» درس فيه علم الأحياء، ثم حصل على منحة دراسية فسافر إلى لندن بالمملكة المتحدة حيث التحق بمعهد المعلمين للشؤون الشرقية والأفريقية، وكتب فيها رسالة بعنوان (الإسلام في القانون المقارن)، ثم عاد إلى زنجبار ليباشر بعض أعماله في مجال التربية والتعليم، ثم حصل على منحة دراسية مرة أخرى إلى أكسفورد ليتابع الدراسات العليا في جامعتها إلى أن حصل على شهادة الدكتوراه، وكان عنوان رسالته (نظرية السعادة في الفكر الإسلامي في القرون الوسطى).

## وظائفه:

- عُين مدرساً للدين والعلوم في معهد المعلمين في زنجبار بعد عودته من أوغندا، وكان من ضمن من درّسهم في ذلك المعهد إدريس عبد الوكيل رئيس زنجبار السابق، والسيد علي حسن الرئيس السابق لتنزانيا.
- عُين مديراً في معهد إسلامي «مسلم أكاديمي» بعد عودته من لندن إلى زنجبار.
- عُين مستشاراً لحاكم جزيرة القمر الكبرى حينذاك بعد عودته من زنجبار إلى جزر القمر.

## إصلاحاته:

كان مصلحاً على أساس تربوي وثقافي، وعمل على تغيير الواقع الاجتماعي وتطوير الوعي الديني، كما كان واعظاً وشارحاً لمقاصد الشريعة الإسلامية ومحاربة المذاهب الهدامة كالشيوعية والإلحادية، وعقد سلسلة مناظرات بينه وبين أصحاب الفلسفة الإلحادية في جزر القمر آنذاك، وقد حقق انتصارات فيها لقوة علمه وحججه، ومناظراته مع الأستاذ «شتنغ» خير شاهد.<sup>(١)</sup>

(١) مقابلة صوتية في الإذاعة. ومصطفى الزياخ، مرجع سابق ١٠١.

## وفاته:

لبي نداء ربه بتاريخ ٥ مارس ١٩٨٨م، ودُفن في «نسجين» حاضرة منطقة إستندرا جزيرة القمر الكبرى، رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

## خامساً: الشيخ محمد شريف:

### مولده ونشأته:

ولد الشيخ محمد شريف بن أحمد ابن الشيخ مؤمن بن عبدالله بن أحمد جمل الليل في مدينة إكوفي جزيرة القمر الكبرى عام ١٩٢٩م، مات أبوه في جزيرة مدغشقر وكان الأستاذ صغيراً، وفي رواية أنه مات والأستاذ في بطن أمه، فنشأ يتيمًا في حضانة أمه وفي كفالة الشيخ عبد سيد بكر الملقب بالسيد عبد المطلب، الذي تزوج بأمه بعد وفاة والده.

### تعليمه:

دخل الكتاتيب في مدينته وتلقّى على أيدي علمائها القرآن الكريم والتجويد وعلوم العربية والفقه والتوحيد وغير ذلك من العلوم الإسلامية، ثم التحق بالحلقات الدينية التي كانت تُعقد في رحاب المساجد، لينهل من المشايخ العلوم الغزيرة، ومن أبرز مشايخه الذين تلقّى عنهم: الأستاذ موسى نازي، والأستاذ علي ممانغا، والأستاذ أحمد مبامبا، والأستاذ سيد باحسن، والأستاذ سالم محمد، وغيرهم.

وفي عام ١٩٤٥م سافر إلى زنجبار حيث عُرف من معارف علمائها الكبار في مدرسة باكثر، ومدرسة نظامية سميت «كمورين سكول»، تلك المدرسة المتوسطة التي كانت تدرس فيها جميع مواد اللغة العربية والتربية الإسلامية والمواد الاجتماعية واللغات الأجنبية كالإنجليزية والسواحلية، وفي عام ١٩٥٠م التحق بمعهد ثانوي كبير أسسه الإنجليز وسموه «مسلم أكاديمي»، وكان المعهد يحتضن معظم أبناء أفريقيا في زنجبار.

وفي عام ١٩٥٥م سافر إلى جمهورية السودان ليتابع دراسته التربوية بكلية التربية «كلية بخت الرضا»، وبذلك جمع تكوينه بين الثقافة الدينية والتربوية، ما أهله ليصبح مستشاراً في اللغة العربية بالمدارس النجبارية، وفي عام ١٩٦٤م عاد نهائياً إلى أرض الوطن.

## رسالته الإصلاحية:

حمل بعد عودته إلى جزر القمر رسالة الإصلاح في مجالها الديني والتربوي، ففي المجال الديني: دعا الأستاذ محمد شريف إلى نبذ المعتقدات المضللة والتقاليد الاجتماعية التي لا تجد أساسها في الكتاب والسنة، داعياً إلى فهم الدين من خلال مصادره الصافية الكتاب والسنة وأعمال السلف الصالح، مؤكداً أن الإسلام لا يتنافى مع التقدم، وأن تأخر المسلمين يرجع إلى مساوئ الاستعمار وفساد الحكام، وبذلك كان محمد شريف أجراً المصلحين في خطبه، لا يجامل ولا يخشى في الله لومة لائم، حتى اشتهر بنقده اللاذع للحكام ولكل مظاهر الفساد.

وفي المجال التربوي: استطاع الأستاذ محمد شريف أن يؤثر في سير الحركات الدعوية والإصلاحية والتربوية في أنحاء البلاد. وتعد حركة الجمعية الإسلامية المتمثلة في الجمعية العمومية المدرسية مع إدارتها التنفيذية في مدرسة الفتح من أهم الحركات الدعوية والإصلاحية والتربوية التي ظهرت في البلاد في أوائل السبعينات.

## أعماله:

في عام ١٩٦٠م عُين مديراً لمدرسة «أريبك بيماراسكول» في زنجبار، فور تخرجه في كلية بخت الرضا في السودان وعودته إلى زنجبار.

وفي عام ١٩٦٢م صار مديراً لمعهد «غليون سكول» في زنجبار.

وفي عام ١٩٦٥م عُين موظفاً رسمياً حكومياً في مجال التدريس في معهد سيد محمد شيخ الثانوي.

وفي عام ١٩٩٧م عُين رئيساً لمجلس علماء جزر القمر.

## آثاره:

أسس مدرسة الفتح الإسلامي في مدينة «إكوفي» مسقط رأسه، حيث تتلمذ فيها كثير من أبناء هذه البلاد، معظمهم التحقوا بالجامعات الإسلامية المختلفة في البلاد العربية والإسلامية، ونالوا العلوم الغزيرة والشهادات العليا في التخصصات المختلفة.

## وفاته:

توفي بتاريخ ٢٧/٠٢/٢٠٠٦م ودُفن في «إكوفي» مسقط رأسه، رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.<sup>(١)</sup>

(١) انظر: حياة الأستاذ محمد شريف وآثاره. للأستاذ / جمعة محمد مؤمن أحمد. و: مصطفى الزياخ، ص ٩٩.

## الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن دعا بدعوته واستن بسنته إلى يوم الدين.

وبعد: فمن خلال ما تحدثت عنه في الصفحات السابقة وجدت أن الله سبحانه وتعالى أنعم على هذه البلاد بكوكبة من العلماء، بذلوا الغالي والرخيص والنفيس في سبيل طلب العلم والمعرفة، وأنهم قاموا بنشره وتطويره في أرجاء المعمورة بعد عودتهم من رحلاتهم العلمية الشاقة، وأنهم تجاوزوا مراحل عدة أثناء دراستهم، وتعلموا على أيدي كبار الشيوخ الأجلاء الذين عاشوا في عصرهم، وحصلوا على مؤهلات علمية عالية في مختلف العلوم، ولعبوا دوراً كبيراً في المجال التربوي والتعليمي والدعوي والأدبي واللغوي، وأنهم تقلدوا مناصب عالية بعد انتهاء دراستهم وعودتهم إلى أرض الوطن، وتركوا أثراً في مختلف المعارف.

ونجدهم حملوا رسالة الإصلاح في مجال الدين، حيث دعوا الناس إلى نبذ المعتقدات الفاسدة والانحرافات والتقاليد الاجتماعية التي لا يوجد لها أساس في الكتاب والسنة، داعين إلى فهم الدين الخالص من خلال مصادره الصافية: القرآن والسنة وفهم السلف الصالح، مؤكدين أن الإسلام لا يتنافى مع التقدم ومواكبة العصر، وأن تأخر المسلمين يرجع إلى مساوئ الاستعمار ومخططاته الخطرة على الإسلام والمسلمين.

كما أعادوا للمسجد دوره التربوي فأصبح مدرسة للتعليم، بعد أن كان قد اقتصر دوره على أداء الصلاة، وكانوا أجراً المصلحين في خطبهم الدينية، ودعوتهم إلى تطوير الوعي الديني، ساعين إلى بعث أمتهم القمرية التي تفتقر إلى كثير من مقومات النهضة؛ عن طريق خطبهم وأحاديثهم الإذاعية، وتفاسيرهم الرمضانية للقرآن الكريم، والاحتفالات الدينية التي ترتفع فيها أصواتهم في شرح مقاصد الشريعة السمحاء، ومحاربة المذاهب الهدامة كالشيوعية والرافضة، وغيرهما.



ولم يكتفوا بذلك بل شاركوا في تأسيس عدة جمعيات إسلامية لتوحيد العمل الإسلامي، وتطوير مناهجه، كما حملوا لواء الإصلاح والدعوة إلى البلاد المجاورة كزنجبار ومدغشقر وكينيا وتنزانيا وغيرها.

وفي مجال اللغة والأدب والتربية فقد اهتموا بالتربية والتعليم أساساً لكل تطور، فأسسوا المدارس لتعليم اللغة العربية والتربية الإسلامية، وكانوا رواداً في تعريب البلاد والبلاد المجاورة، ونظموا قصائد شعرية في مختلف المناسبات.

هذه الأمور كلها إن دلت على شيء فإنما تدل على علو همهم في المحافظة على الأخلاق الإسلامية والعربية.

#### وبعد هذا العرض أقدم التوصيات الآتية:

١- أخذ العلم من ينابيعه الصحيحة ومصادره الصالحة كما فعل السلف؛ لأن العلم لا يُنال ولا يُحصل إلا من أفواه الصالحين المصلحين الذين تطابق أفعالهم أقوالهم.

٢- بناء الشخصية بالتعليم الصحيح والتربية السليمة، والاهتمام بصفة خاصة بالتعليم الديني؛ لأن هذا التعليم إذا كان يسير في الاتجاه الصحيح فإنه سيقود إلى وعي عام وفهم منير. أما إذا كان يسير في اتجاه غير سليم فإنه سيؤدي لا محالة إلى التخلف والانحطاط.

٣- السير في طريق الإصلاح والنهوض كما فعل علماؤنا السابقون؛ لأن حالة التخلف التي تعاني منها البلاد لا ترجع إلى قلة الموارد والإمكانات المادية - كما يتردد ذلك في أفواه الغوغاء - وإنما فقر البلاد وتخلفه يتمثل في قلة الراشدين فيها، وغناها الحقيقي يتمثل في كثرة المهتدين فيها.

٤- رفض التقاليد والخرافات التي لا تتناسب مع الدين الحنيف، نعم؛ يجب على كل طالب أن يسترشد بمن تقدمه، سواء أكانوا أحياء أم أمواتاً. ولكن عليه أن يستعمل فكره فيما يؤثر عنهم، فإن وجدده صحيحاً أخذ به، وإن وجدده فاسداً تركه.

٥- تعريب البلاد باستخدام الأساليب القديمة التي استخدمها السابقون، وتزويدها بالأساليب الجديدة المتطورة. وذلك بألا يباشر أحد عملية تدريس اللغة العربية إلا بعد مشاركته في دورات مكثفة في طرق تدريس هذه اللغة.

والله الهادي إلى سواء السبيل.

إسماعيل مولد



# المبحث الرابع

## دور القمريين في نشر اللغة العربية في دول الجوار

إعداد الدكتور: محمد ذاكر حسن سقاف  
أستاذ التاريخ والحضارة بكلية الإمام الشافعي



اللغة العربية في جزر القمر



## تنقسم الدراسة إلى قسمين:

القسم الأول: المسارات.

القسم الثاني: المحاور.

## القسم الأول: المسارات:

١- المسار الجغرافي.

٢- المسار العرقي.

٣- المسار الديني.

٤- مسارات التحولات السياسية لجزر القمر.

٥- المسار الثقافي والحضاري.

٦- المسار التاريخي والتواصلي بين جزر القمر والدول المجاورة.

## القسم الثاني: المحاور:

المحور الأول: اللغة العربية في جزر القمر ونموها على مدار القرون الماضية إلى حاضر أيامنا.

المحور الثاني: القمريون ودورهم السابق في نشر اللغة العربية في المنطقة.

— زنجبار.

— تنقانيقا.

— بقية الجزر والمدن الملحقة بكينيا.

— بقية الجزر والمدن الملحقة بتنزانيا.

— مدغشقر.

— موزمبيق.

— بقية جزر المحيط الهندي (سيشل - موريشيوس - لارينو).

المحور الثالث: عوائق معاصرة في طريق الدور القمري لنشر العربية والدعوة الإسلامية في دول الجوار.

المحور الرابع: الآلية الإستراتيجية القمرية للعمل المستقبلي.

## المسار الجغرافي

تقع جزر القمر في شرقي أفريقيا في الجزء الغربي من المحيط الهندي على نقطة مدخل قناة موزمبيق، تلك القناة التي تمثل معبراً بحرياً دولياً إستراتيجياً، تعبر منه كل السفن القادمة من منطقة البحر الأحمر والخليج العربي، سواء من بلدان تلك المناطق أو تلك القادمة من القارات الأخرى إلى بلدان أفريقيا الجنوبية ابتداء من موزمبيق إلى رأس الرجاء الصالح، وكذلك السفن القادمة من الاتجاه العكسي من رأس الرجاء الصالح في جنوب أفريقيا أو تلك القادمة من القارات الأخرى عبره إلى أفريقيا الشرقية والشمالية، أو إلى منطقة الجزيرة العربية عبر الخليج أو البحر الأحمر أو إلى بلدان القارات الأخرى، لكونها الممر البحري الرئيس المتعارف عليه دولياً والأمن كمحطة وطريق لا بديل عنه للسفن المتجهة إلى تلك الجهات أو الآتية منها إلى الجهات التي حددناها من بلدان القارات المختلفة.

وإضافة إلى أنه موقع إستراتيجي في شرقي أفريقيا للملاحة البحرية العالمية، فهو موقع حيوي بالنسبة للجزر القمرية تجاه الدول المجاورة لها، التي تجد جزر القمر نفسها في موقع وسط تتمكن من إحداث أي صلات معها بطريقة مباشرة، ويمكن تحديد ذلك على الاتجاهات الجغرافية الآتية:

— في الشمال الشرقي تقع جزر سيشل.

— وفي الشمال الغربي دولة تنزانيا بما فيها ملحقاتها من الجزر والمدن، ومنها: كلوة ومافيا وبمبا وزنجبار التي توحدت مع تنقانيقا وشكلت دولة تنزانيا على إثر ثورة ١٩٦٣م.

وتقع إلى الجهة الشمالية الغربية لجزر القمر دولة كينيا وملحقاتها من الجزر والمدن الساحلية، ومنها: ممبسة ولاموباتي وماندة وغيرها من المدن الملحقة بكينيا منذ الستينيات من القرن الماضي؛ على إثر المعاهدات المبرمة حول الحدود للمدن الساحلية بين كينيا وتنزانيا أثناء الاستعمار البريطاني.



- وفي الجنوب الشرقي تقع جزيرة مدغشقر وجزر موريشيوس ولارينو، والأخيرة من المقاطعات الفرنسية المعروفة بمسمى أقاليم ما وراء البحار في هذه المنطقة.
- في الجنوب الغربي تقع دولة موزمبيق بما فيها مدينة سوفالا الساحلية التاريخية.
- وحدود جزر القمر البحرية مشتركة بينها وبين كل من: سيشل في الشمال الشرقي، وتنزانيا في الشمال الغربي، ومدغشقر في الجنوب الغربي، وموزمبيق في الجنوب الشرقي، وتم ترسيم هذه الحدود رسمياً في عام ٢٠١١م بين كل من سيشل وموزمبيق وتنزانيا، ولم يبق إلا مدغشقر التي تعاني هذه الأيام انفلاتاً في الاستقرار السياسي.
- ويظهر من ذلك الموقع الجغرافي الوسطي أن جزر القمر من الدول التي تتحكم في هذا الطريق البحري المهم.

## وجزر القمر عبارة عن أرخبيل متقارب يضم أربع جزر رئيسة هي:

- جزيرة غازيجا وتعرف باسم القمر الكبرى، ومساحتها ١١٤٨ كيلومتراً مربعاً وفيها مدينة مروني عاصمة البلاد.
- جزيرة موالى أو موهيلي، مساحتها ٢٩٠ كيلومتراً مربعاً.
- جزيرة هنزوان - نزواني أو انجوان، مساحتها ٤٢٤ كيلومتراً مربعاً.
- جزيرة ماوري أو مايوت، ومساحتها ٣٧٤ كيلومتراً مربعاً، لكن أبت الإمبريالية الفرنسية منحها حريتها لتلحق بأخواتها الثلاث لتشكل الوحدة الوطنية للأرخبيل.
- وتبلغ مساحة الجزر الأربعة الكلية قرابة ٢٢٣٦ كيلومتراً مربعاً. تساوي بذلك ٩٠٠ كيلومتر من مساحة القارة الأفريقية و٤٢٧ كيلومتراً من مساحة منطقة ساحل شرق أفريقيا.
- ويبلغ تعداد السكان قرابة ٨٠٠ ألف نسمة في الجزر الثلاثة وكلهم مسلمون بنسبة ١٠٠٪، أما إحصاء سكان مايوت فيصعب علينا الآن نظراً لأن الجزيرة تعيش في وضع إداري استعماري إلى يومنا هذا.

## المسار العرقي لأصل سكان القمر والصلات المرتبطة بسكان الدول المجاورة:

### ١- الأصل العربي:

ثبت تاريخياً أن العرب القادمين من جنوب الجزيرة العربية كانوا هم أول عنصر بشري يسكن في هذه الجزر، وذلك منذ أيام دول معين وسبأ وحمير اليمينية القديمة قبل ظهور الإسلام، وهم الذين سموها (القمر) بفتح القاف والميم معاً، رغم التحريف الذي أصاب هذا المسمى في عصور الاستعمار الأوروبي الحديث على العالم الإسلامي، حيث وقعت الجزر القمرية تحت الاستعمار الفرنسي.

ونتيجة لعدم قدرة الفرنجة على نطق بعض الحروف المشككة بالحركات الأصلية العربية حُرِّف إلى اسم (الكمور)، ويلزم العمل بواسطة المثقفين العرب ومؤسساتهم الثقافية على تصحيح هذا الخطأ للعودة لاستعمال المسمى العربي الحقيقي.

٢- جاءت المجموعة البنتوية بعد المجموعة العربية وعن طريق العرب وصلوا إلى هذه الجزر المتناثرة في المحيط، إذ بعد استقرار العرب في الجزر وتحركات سفنهم على السواحل البرية لأفريقيا الشرقية، قاموا بإحضار عناصر بنتوية رجالاً ونساءً من البرا لأفريقي في جهات تنقانيا وموزمبيق إلى جزر القمر بهدف التزاوج منهم، حيث لم يكونوا يحملون نساءهم من موطنهم الأصلي، ولإسهام مع رجالهم في الأعمال التي كانت تتعلق بحياة الجميع في ظل مجتمع منصهر.

ويعد هذان العنصران: العربي والأفريقي البنتوي أساس تكوين المجتمع القمري، من حيث المكونات الفسيولوجية والمعطيات الثقافية والحضارية الموجودة في المجتمع، بانصهار تام بينهما على طول امتداد التاريخ القمري الذي يعود إلى حوالي ٣٠٠٠ عام قبل الميلاد، حسب الدراسات الأثرية التي أجريت مؤخراً عن طريق بعثة تنزانية / سويسرية في علم الآثار والحفريات.

٣- مجموعة الملايو- إندونيسيا التي وصلت إلى هذه الجزر في القرن الرابع الميلادي عبر جزيرة مدغشقر، ويبدو أن اختلاطهم مع أصحاب البلاد من العرب والبن্তু لم يكن ذا أثر كبير دماً وثقافة.

٤- المجموعة الشيرازية التي وصلت أيضاً إلى القمر في القرن الخامس عشر الميلادي، وهذه المجموعة الشيرازية ليست فارسية في الواقع كما يقول البعض، بل هي عربية استقرت بمنطقة شيراز على الخليج واختلطت بأهالي تلك المنطقة، وخلال الصراعات التي كانت تحدث في العالم الإسلامي هاجرت مجموعة منهم إلى شرقي أفريقيا في القرن العاشر الميلادي، واستقرت جنوب جزر القمر وبنت إمبراطورية كلوة (الزنج)، وعندما سقطت دولتهم على أيدي البرتغاليين في القرن الخامس عشر الميلادي تفرقت بنو شيراز إلى الجزر المجاورة فدخلت مجموعة منها إلى جزر القمر، مع العلم أن هؤلاء الشيرازيين كانوا سنيين ولم يكونوا شيعة، خلافاً لما ورد في المراجع الأجنبية أو تلك التي كُتبت بالعربية ولكنها نقلت من الكتب الأجنبية دون تحليل وتحقيق عن حقيقة هذه العناصر، فالمنطقة الساحلية لأفريقيا الشرقية من الصومال شمالاً إلى سوفيلا جنوباً كانت وما زالت سنية شافعية المذهب.

وواضح أن الصلات العرقية التي ترتبط بهذه المجموعات البشرية التي دخلت جزر القمر هي نفسها استقرت في دول الجوار.

فالعرب عندما وصلوا عن طريق باب المندب والبحر الأحمر إلى جزر القمر لاشك أنهم عبروا بلاد الصومال حتى وصلوا المدن والجزر الواقعة في شمال القمر، والتي منها ممبسة ولامو وزنجبار ومافيا وغيرها، ولم تنقطع الهجرات العربية على امتداد التاريخ الطويل، رابطة بين الشاطئين العربي والأفريقي، بل استمرت مع ظهور الإسلام وتنظيم أول فوج مهاجر في الإسلام إلى شرق أفريقيا، حيث الحبشة القديمة التي كانت لها سواحل بحرية ممتدة في جهات إريتريا الحالية وبعض من مناطق السودان الشرقية،

وأن هذه الهجرات الإسلامية الأولى وما أعقبها من هجرات أخرى عقب قيام الدولة الإسلامية بالمدينة، وما تمخضت عنه الأحداث التي أعقبت انتقال الخلافة الراشدة إلى الأمويين ثم العباسيين، لاشك أنها وصلت إلى جزر القمر عبر جزر ومدن ساحل شرقي أفريقيا، التي كتب عنها المؤرخون الثقات بأنها عربية منذ أزمنة طويلة ما قبل ظهور الإسلام، ولذلك كان العرب يترددون على مدن هي لهم ويقومون بدعوة أهلهم إلى الإسلام باعتبارهم حملة لوائه.

هذا التواجد العربي في سواحل شرقي أفريقيا كان شاملاً لجميع المدن والجزر الساحلية من الصومال شمالاً إلى لامو وممبسة وزنجبار وجزر القمر جنوباً، فهي إذاً جزر لها امتداد عرقي واحد.

يضاف إلى ذلك أن الجنس البنتوي الأفريقي الذي قدم من البرالشرقي لأفريقيا إلى هذه الجزر والمدن الساحلية هو نفس الجنس الذي يتواجد في المدن والجزر الساحلية لأفريقيا الشرقية، فضلاً عن البرالافريقي، وهو الخليط المميزين هؤلاء العرب والبنتو الأفريقيين والمكون لشعوب هذه المنطقة الساحلية في شرقي أفريقيا.

كذلك الشيرازيون الذين قدموا إلى المنطقة في القرن العاشر الميلادي وكوّنوا إمبراطوريتهم في كلوة شمالاً حتى سوفالا جنوباً، والأولى في تنزانيا الحالية والثانية في موزمبيق، إذا قلنا بالرأي الذي يجعلهم من الفرس فإنهم اندمجوا في الثقافة والحضارة السواحلية من حيث الفكر السني والثقافة الإسلامية الصحيحة، غير أننا نظل على رأينا بأنهم من العرب المقيمين على الخليج الذين ولاشك اختلطوا بعناصر فارسية نظراً للحدود المشتركة، بيد أن الثقافة العربية والفكر الإسلامي كانا هما الغالبين عندما انتقلوا إلى شرقي أفريقيا.

ولذلك؛ وسواء اعتمدنا هذا الرأي أو ذاك، فإن هؤلاء الذين حملوا هذا الاسم (الشيرازيين) اختلطوا كذلك بالتزاوج مع أهالي هذه الجزر والمدن العربية الساحلية من المجتمع السواحلي المتجذر بأرومته العربية والبنتوية كما سبقت الإشارة.

نضيف إلى هذا أن مجموعة الملايو- الإندونيسيين استقروا في مدغشقر منذ القرن الرابع الميلادي، ولعل هذه المجموعة لم تمتد للاستقرار إلى أبعد من جزر القمر بعد مدغشقر، ولكن المراجع التاريخية تؤكد لنا أنها هي التي حملت بعض الأشجار كالماوز والجوز الهندي والتوابل إلى شرقي أفريقيا، ويبدو أن دماء الملايو - الإندونيسيين لم تختلط مع سكان جزر القمر بشكل يسمح لنا بأن نجعلها من المجتمعات البشرية المكونة للمجتمع القمري، اللهم إلا في حدود ضيقة، وربما هي نفس الحال بالنسبة للمدن والجزر الساحلية الأخرى، غير أن الواضح أن المجموعة الأفريقية البننوية التي استقرت أيضاً بمدغشقر مرت عبر جزر القمر إلى المدن الشمالية لتلك الجزيرة، التي يبدو أنها وصلت إليها في وقت مبكر عن طريق عرب السواحل قبل مجيء الملايو - الإندونيسيين بموجاتهم الكبيرة إليها واستقرارهم في الجهات الجنوبية والشرقية منها، ويستدل على ذلك بالمفردات اللغوية الموجودة في اللغة الملاجاشية التي ترجع أصولها إلى اللغة العربية.

ولذلك يمكن القول من خلال هذا المسار العرقي بأن المجموعات البشرية التي تكونت منها المجتمعات السواحلية دمًا وعرقًا تظهر الملامح العامة العربية والبننوية، فضلاً عن الثقافة والتقاليد والأعراف المشتركة بين سكان السواحل، فهي من أصل واحد، وباختلاف طفيف نوعاً ما بالنسبة لمدغشقر نظراً لغلبة الملايو- الإندونيسيين في تشكيل مجتمع الجزيرة عرقاً وثقافة، إلا في المدن الشمالية القريبة من جزر القمر، ولكن مع ذلك فعنصر البننو موجود في تكوين المجتمعين السواحلي والملاجاشي، وتقف جزر القمر وسطاً بينهما من حيث موقعها بين هاتين المجموعتين في اللغة، وإن كان انتماءها العرقي للمجتمع السواحلي أقرب، حيث شعب القمر من شعوب الجزر والمدن الساحلية لأفريقيا كما سبق الحديث آنفاً، وتقف بذلك في وسط إستراتيجي، لعبت من خلاله دوراً مميزاً في الحقب التاريخية الماضية، وعليها دور في المراحل المستقبلية لدى هذه الدول المجاورة لها.

## المسار الديني:

ثبت أنه عند ظهور الإسلام في مكة كان القمريون على علم به عن طريق إخوانهم العرب الذين ظلوا يترددون إلى الجزر بين الحين والآخر، ويخبرونهم بما يحدث فيها من أحداث بين الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وقريش، وما أعقب ذلك من هجري المسلمين إلى الحبشة في شرق أفريقيا مرتين، ثم المعاهدات الموقعة بين الرسول وأهل يثرب، وحوادث الغزوات والسرايا بين الدولة الإسلامية بالمدينة وكفار الجزيرة العربية، وصولاً إلى انتصار المسلمين على الكفار بعد فتح مكة ودخول العرب في الدين أفواجا عن طريق وفود قبائلهم المختلفة الوافدة إلى المدينة للبيع والإعلان عن الدخول في الإسلام.

ولأن جزر القمر سكانها من العرب؛ عرفوا ذلك وجهزوا وفداهم إلى الحجاز لمقابلة الرسول صلى الله عليه وسلم والدخول فيما دخل فيه إخوانهم، وتم ذلك برحلة الوفد القمري إلى الحجاز برئاسة الأمير في بيجا بن فسمع الملقب باسم موتصموينزة أمير منطقة بودي وحاضرتها مدينة نتساويني شمال غرب جزيرة غازيجا، وبرفقته أمير منطقة دومبا بجنوب الجزيرة،

وتروي لنا المصادر التاريخية أن وصولهم إلى المدينة صادف نهاية عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث أسلموا وأقاموا بالمدينة، فتعلموا فيها القرآن والحديث والفضائل الإسلامية، حتى السنوات الأولى من عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه عندما قفل راجعاً قبل قيام الفتنة الكبرى، وتضيف الروايات أن أحد أبناء الصحابة واسمه محمد بن عثمان اصطحب الوفد القمري لدعمه في نشر الدين في بلادهم، وتوضح هذه الروايات أن ضريحه موجود في مسجد متصموينزة أول مسجد أقيم بهذه الجزر في مدينة نتساويني إلى جانب قبر أمير الوفد موتصموينزة.

وكانت بعض المراجع التاريخية الأجنبية التي كتبت عن دخول الإسلام إلى شرق أفريقيا ذكرت أن الإسلام دخل إلى جزر القمر في القرن الخامس عشر الميلادي عن طريق

الشيرازيين، وسار على نهجهم المؤرخون القمريون أو حتى بعض العرب الذين درسوا تلك المراجع واعتبروها حقائق تاريخية، غير أن ذلك تم تصحيحه عن طريق مخطوطات ومصادر عربية علمية اعتمدت عليها في إعداد رسالتي للماجستير التي بدأتها من عام ١٩٩١م بجامعة أم درمان الإسلامية بالسودان إلى عام ١٩٩٤م، حيث تمكنت من إبراز الوجه الحقيقي لتاريخ دخول الإسلام إلى هذه البلاد بأنه كان في القرن السابع الميلادي / الأول الهجري.

كذلك كانت هناك بعض الدراسات التاريخية والأثرية التي أجريت في جزر ومدن ساحل شرقي أفريقيا عن تاريخ دخول الإسلام فيها، وأوضحت بأن أقدم مسجد في هذه المنطقة هو مسجد لامو الذي يعود تاريخه إلى القرن الثامن الميلادي، غير أن دراسات أثرية أخرى قامت بها بعثة تنزانية خلال عام ٢٠١٠م أكدت أن المسجد الموجود في نتساووني بشمال غرب جزيرة غازيجا يعود تاريخ بنائه إلى القرن السابع الميلادي / الأول الهجري، وذلك بعد عرض مكوناته إلى الكربون ١٤ بسويسرا، فكانت هذه الدراسات تأكيداً لما سبق أن كتبناه قبل ١٨ عاماً كما أشرت إليه آنفاً، حيث حددت في الفصل المخصص لذلك أن الإسلام دخل إلى جزر القمر في القرن السابع الميلادي، وأن أول مسجد أسس فيها كان في ذلك القرن ولا يزال في نتساووين، وأقيمت عدة ندوات على مستوى البلاد لتوضيح ذلك، كما شاركت في عدة لقاءات متلفزة للغرض نفسه، إلا أن معظم الكتاب كانوا يصرون على رأيهم إلى عام ٢٠١٠م حيث تهافت حججهم وزالت الغشاوة عن أبصارهم فتمكنوا من رؤية ومعرفة الحقيقة، وقالوا بضرورة إعادة كتابة التاريخ القمري من جديد؛ لأن المكتوب على أيدي الأجانب ليس إنصافاً وفيه تشويه للحقائق وأخطاء فادحة قدمت للتلاميذ عبر عقود الاستعمار وما بعده ونُشرت للعالم.

## مسار التحولات السياسية لجزر القمر:

عاشت هذه البلاد عبر تاريخها الطويل على نظام إمارات جزرية وإمارات محلية إقليمية قبل الإسلام بما يشبه النظام القبلي العربي في العصر الجاهلي، وهذا يؤكد

الأصل العربي لشعبها، والشاهد على ذلك أيضاً أننا نجد عند ظهور الإسلام اجتماع أمراء الجزر، وبخاصة جزيرة غازيجا التي كانت تمثل القاعدة التي منها تتسرب الجماعات البشرية إلى بقية أخواتها من الجزر، للتشاور حول البعثة التي ذهبت إلى الحجاز المشار إليها قبل قليل، وبعد دخول الإسلام كانت دواوين الإمارات والسلطنات القمرية تُدَوَّن باللغة العربية.

وخلال المدة من ١٨٤١م و١٨٤٣م إلى ١٨٩٦م كانت هذه الجزر قد وقعت تحت الاستعمار الفرنسي وعانت ويلات، إلى عام ١٩٧٥م حيث أعلن الوطنيون آنذاك عن استقلال البلاد من جانب واحد، وعن حدود سيادتها الوطنية التي أقرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٢ نوفمبر ١٩٧٥م بحدودها الجغرافية لأربع جزر هي: مايوت وهنزوان وموهيلي وغازيجا، غير أن الإمبريالية الفرنسية تمركزت بقواتها في جزيرة ماوري - مايوت، وأعلنت عن احتلالها من جديد، وسعت بكل المحاولات خلال ٣٦ سنة لنزعها عن الوحدة الوطنية، حتى تمكنت من بلوغ هدفها عام ٢٠١١م حيث حولتها إلى المقاطعة ١٠١ من المقاطعات الفرنسية فيما وراء البحار، ولكن الأمل لا يزال يراود القمريين على مختلف جزرهم، حتى سكان مايوت أنفسهم الذين أرغموا على استفتاء ٢٠٠٩م بشأن اختيار العودة إلى الإجماع الوطني في عزة وكرامة وسيادة أو تحويل جزيرتهم إلى مقاطعة فرنسية تحت المذلة والمهانة والاستعباد، فاختاروا بالكيد والمكر الفرنسي الخبيث حياة الذل بالطمع والوعود الباطلة لتحسين ظروفهم الاقتصادية، ولكن الحال يشير إلى غير ذلك ويؤكد بيوم موعود تعود فيه الأرض إلى أهلها، ومنذ الاستقلال عام ١٩٧٥م مرت على هذه البلاد عدة حكومات جمهورية ثورية وديكتاتورية وديمقراطية وعسكرية، وتم خلال ذلك وضع دستور للبلاد عام ٢٠٠١م لرئاسة دورية لكل جزيرة رئيس منتخب لولاية مدتها أربع سنوات، مع منح كل جزيرة نوعاً من الاستقلال الداخلي رئيس يُنتخب لكل منها لولاية مدتها خمس سنوات، ومجلس نيابي اتحادي ونيابي جزري لخمس سنوات، غير أنه تم إجراء تعديلات لذلك الدستور في عام ٢٠٠٩م لتكون خمس سنوات مدة ولاية رئيس الدولة وحكام الجزر الذين تم تغيير مسمياتهم إلى حكام أو محافظين بدلاً من



رؤساء، وبمجلس نيابي اتحادي لنواب منتخبين من دوائرهم لمدة خمس سنوات، على أن يتحول مسمى برلمانات الجزر إلى مسمى مجالس استشارية يُنتخب لها مستشارون من دوائر جزرهم، وأكد الدستور المعدل مبدأ دوران الرئاسة على الجزر الثلاثة إلى حين عودة جزيرة مايوت المحتلة، وهذا المسار الديمقراطي هو الذي تسير عليها جمهورية جزر القمر المتحدة اليوم.

## المسار الثقافي والحضاري:

يتمثل هذا المسار في أن الشعب القمري مسلم عربي أفريقي، ولذلك فإن المظاهر الثقافية والحضارية تتجسد في هذه الخصوصيات.

حيث كانت المدرسة الأولية الدينية (الخلاوي القرآنية) وكذلك المدرسة الفقهية هي أساس هذه الأنشطة الثقافية، فكانت المساجد تؤدي هذه المهمة لتعليم الناس القرآن وأموال دينهم، ثم تطور هذا النظام إلى اتخاذ بيوت المعلمين أماكن لإلقاء هذه الدروس، فكان الطفل يتعلم من خلالها القواعد الدينية والأخلاق والسلوكيات الفاضلة، وكان بإمكان أي قمري بالغ أن يقرأ القرآن ويعرف أمور دينه من خلال كتب الحديث والفقه والتوحيد التي تساعده على أداء شعائر الدين، وتطورت هذه الأنشطة العلمية إلى ما قبل الاستعمار الفرنسي، ووجدت الزوايا التي دخلت عن طريق الصوفية، فكانت هذه الزوايا مواقع استقبال التلاميذ من القرى المختلفة، وكذلك بعض من أبناء دول ساحل أفريقيا، لتلقي العلوم والإقامة بها تحت رعاية المشايخ الذين كان همهم الأول والأخير حفظ الدين على المذهب السني وحمايته من التحريف والبدع والخرافات عن طريق توريث هذا التعليم لأبنائهم، كما كانت بعض الإمارات القمرية تقوم بتأسيس مدارس خاصة بها أو بناء غرف أو طوابق ملحقة بالمساجد للقيام بنفس الدور الحضاري والثقافي.

استمرت عملية التعليم العربي والإسلامي بهذه الصورة تأخذ أبعادها المتنامية حتى وقعت البلاد تحت الاستعمار الفرنسي، الذي واجه تحدي القمرين الذين رفضوا

الالتحاق بالمدارس الفرنسية باعتبارها مواقع للتنصير، بل بالمقابل نشطت آليات التعليم العربي والإسلامي وتوسعت حركة الهجرة القمرية إلى البلدان العربية والمدن العربية الساحلية المجاورة للتعلّم والعودة لتربية الأجيال على التمسك بالتعليم الديني.

ولم تفلح سياسة فرنسا التعليمية في جزر القمر حتى يومنا هذا، رغم انتشار بعض المدارس الرسمية التي بدأت في الظهور على أيدي الوطنيين الذين قادوا الحركة الوطنية عقب الحرب العالمية الثانية في الأربعينات من القرن الماضي، وحيث صارت اللغة الفرنسية منذ دخول الاستعمار إلى هذه الجزر هي اللغة الرسمية رغم صعوبات نشرها.

كما استمرت عملية التوسّع في حركة انتشار بناء المدارس العربية والإسلامية على أسس حديثة خلال الحقبة ما بعد ١٩٤٥م إلى أيامنا هذه، وتمخضت عن ذلك نتائج إيجابية منها إنشاء مدرسة الفتح باكوفي، ومدرسة الفلاح بمروني، ومعاهد رابطة العالم الإسلامي، ومدارس ابن خلدون ومدارس الإيمان، وكلية الإمام الشافعي للعلوم الإسلامية والعربية التي قامت عام ٢٠٠٢م والملحقة بالجامعة القمرية التي يعود تاريخ افتتاحها إلى عام ٢٠٠٣م بعد الكلية التي تعتبر إحدى ركائزها الأساسية، وكذلك إدخال المساق العربي كفرصة أخرى للتسابق في امتحانات الشهادة الثانوية القمرية، جاء ذلك نتيجة للتحدي الكبير الكامن في واقع البلاد وفي دماء شعبها تجاه هويته العربية والإسلامية التي توارثها جيلاً عن جيل، وتصدى هذا الواقع للثقافة الفرنسية التي أعلنت عن فشلها مؤخراً في الحديث الذي أدلى به سفير فرنسا بمروني قبل شهور من أن فرنسا تخطط لوضع إستراتيجية جديدة تساعد على نشر اللغة الفرنسية في القمر، إنها خلاصة لفشل الثقافة الفرنسية في هذه البلاد.

فاللغة العربية هي لغة الشعب القمري، وبها كانت ولا تزال تُلقى الخطب والمواظب الجمعية والاجتماعية، ووسائل مادية منظمة وبرنامج عمل مخطط بصورة جيدة تساعد على الدم المتجدد لهفًا والنفس المتشوقة حبًا والقلب المطمئن بأن ما غاب عنه من لغته العربية بسبب محاولات الاستعمار البغيض لدفنها وجعلها من الأطلال لاشك عائدة

إليها، فالتمسك بالدين الإسلامي قائم والمناسبات الاجتماعية والثقافية التي ترجع بأصولها إلى العرب قائمة، وهذا ما أدى إلى موافقة الجامعة العربية في عام ١٩٩٣م على ضم جزر القمر إليها لأنها دولة عربية عانت ويلات الاستعمار الفرنسي الأوروبي، لكنها واصلت التحدي للمحافظة على سلامة مظاهرها الثقافية والحضارية العربية المستندة إلى ما تعنيه ثقافة وحضارة أمة من فكر وعمارة وسلوكيات اجتماعية مختلفة.

## المسار التاريخي والتواصلي بين جزر القمر والدول المجاورة:

سبق أن تناولنا الارتباط العرقي بين جزر القمر والدول المجاورة لها؛ نظراً لتلك الأجناس التي وفدت إلى هذه الجزر والمدن الساحلية التي كانت دائماً تشكل وحدة جغرافية متقاربة، تتناقل الأخبار من هنا إلى هناك بشكل تلقائي.

ويظهر من ذلك أيضاً العقيدة الإسلامية المشتركة، حيث إن أهل منطقة شرقي أفريقيا، سواء تلك الجزر والمدن التي نميل إلى الرأي الذي يسميها الجزر والمدن العربية مثل: ممبسة ولامو ومائدة وباقي ومافيا وزنجبار وغيرها من جزر ومدن الساحل الأفريقي، والتي هي مدن إسلامية عربية بنسبة ١٠٠٪ أو بنسبة قريبة من ذلك، والسبب في أي نقصان للنسبة المئوية يرجع إلى إلحاقها بدول لها ديانات أخرى ذات أغلبية من أصحاب الديانات والملل الأخرى ككينيا وتنزانيا وموزمبيق، أو تلك التي تبعد عنها من حيث النسبة العالية من المسلمين كمدغشقر ولارينو وموريشيوس وسيشل، والتي بها أعداد من المسلمين بنسب متفاوتة تقل عن ٥٠٪، إلا أنه واضح أن الارتباط الديني التاريخي بينها وبين هذه البلدان يشكل مساراً تاريخياً مهماً من مسارات قديمة يمكن استغلالها لاستمرارية العمل في المرحلة القادمة، لتلعب جزر القمر دوراً فعالاً في هذا المحيط البشري المجاور.

ويأتي أيضاً الارتباط المتعلق بالاستعمار الواحد، وهذا نجده بين جزر القمر ومدغشقر بصورة واضحة، الأمر الذي كان وراء سيطرة القمرين على شؤون مدغشقر خلال الحقبة الاستعمارية، فتمكنوا من خلال ذلك من تشييد المساجد والمدارس، فضلاً عن تولي بعضهم القضاء فيها ومواقع إدارية مهمة إلى ما بعد الاستقلال.

يضاف إلى ذلك التزاوج الذي ساد بين شعوب القمر ومدن الساحل الأفريقي من جهة وبين القمر ومدغشقر من جهة أخرى، وكذلك جزيرة لارينو، حيث لعبت الجاليات القمرية في هذه المدن أدواراً مهمة في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية عن طريق هذه المصاهرات، ولا يزال هذا المسار له أبعاده المهمة في وضع آليات لنشر العربية والإسلام وسط هذه الشعوب.

## القسم الثاني: المحاور:

### المحور الأول: اللغة العربية في جزر القمر ونموها على مدار القرون الماضية:

العرب عندما دخلوا إلى جزر القمر أقاموا بها مع البنّو الذين تم إحصاءهم من البر الأفريقي، وبدأ التعامل باللغة العربية، فهي اللغة الأولى التي استُعملت في جزر القمر نظراً لأن أوائل سكانها عرب، وبتوالي القرون ونتيجة للاختلاط والتزاوج بينهم وبين البنّو ظهرت لغة جديدة هي اللغة القمرية؛ التي يقول عنها البعض بأنها لهجة من اللغة السواحلية، وهي لغة وسط بين شعوب المنطقة الساحلية والجزر المتناثرة في هذا الجزء الغربي من المحيط الهندي بغزارة مفرداتها وألفاظها العربية والبنّوية، فضلاً عن مفردات من لغة الملايو التي تُسمى بالمفردات الملجاشية، ومن بعض الكلمات الهندية، حيث بدأ شعب الملايو - الإندونيسيين بالتردد على هذه الجزر والاستقرار بها منذ القرن الرابع الميلادي وكذلك الهنود.

فهذا المحور يرتبط بالمسار الثقافي والحضاري الذي سبق أن تحدثنا عنه في هذه الورقة، حيث إنه بعد ظهور الإسلام في الجزر القمرية وتوالي انتشار المدارس القرآنية الأولى (الخلاوي أو الكتاتيب ثم المدارس الفقهية) تم وضع خطط لبناء مدارس يمكن أن نسميها نموذجية وفقاً لمرحلة القرون الوسطى، نظراً لمشاركة الأهالي في بنائها وتخصيص غرف لطلبة العلم، أو إعداد بيوت خاصة لاستقبال الطلبة القادمين من قرى أخرى إلى

جانب مكان للصلاة، وغالبًا ما كان المسجد قريبًا لتلك المدارس، وأحيانًا كان الشيخ يقوم بوقف مبنى خاص له لتعليم الطلبة وتخصيص مكان لسكنهم وإعاشتهم، هذه الصورة التربوية والتعليمية النموذجية والتضامنية كانت موجودة في هذه البلاد إلى أيام قريبة.

استمرت هذه المؤسسات التعليمية بهذا العمل التربوي والتعليمي للغة العربية والعلوم الإسلامية على مستوى الجزر الأربع في مايوت وهنزون وموالي وغازيجا، ونحو الجزر والمدن الساحلية المجاورة، تحت رعاية أهالي كل قرية من القرى والمدن القمرية التي كانت في حالة تنافس في سبيل تقديم أحسن الخدمات لروادها من الطلبة.

ولعبت الحركة الصوفية، وبخاصة الطريقتان الشاذلية والقادرية، منذ دخول الاستعمار إلى البلاد دورًا بارزًا في الإرشاد والتوجيه، عبر حلقات الذكر التي تبدأ بعد قراءة سور القرآن وتدرّس بعض الأبواب الفقهية أو الفنون الأخرى من العلوم الإسلامية والعربية كالتوحيد والحديث والنحو.

### القمريون تأهلوا عبر العصور من قلاع العلوم العربية والإسلامية لأداء دورهم:

كانت منابع تخريج معلمي ومشايخ هذه المؤسسات التعليمية فيما قبل وبعد الاستعمار هي الحجاز، في مكة والمدينة على وجه الخصوص، فقد كانت بلاد الحجاز معروفة لدى القمريين قبل الإسلام، ثم زاد تعلقهم بها بعد زيارة الأمير موتصمونيّة إليها وتعلمه بها وعودته إلى البلاد إبان عهد الخلافة الراشدة، وأصبحت قلوبهم معلقة بالتعلّم فيها، فضلًا عن رحلات الحج والعمرة التي كانت تنظم بشكل جماعي قمري أحيانًا على السفن الشراعية، وبعد أداء المناسك كان عدد منهم يفضلون البقاء بجوار الحرمين للتعلّم، وأحيانًا يحمل الرجل ابنه في تلك الرحلات ثم يتركه في إحدى المدينتين المقدستين للتعلّم، وبعدها يعود إلى الجزر مصطحبًا معه أحد الحجازيين لدعمه في مواصلة مهنة التعليم.

كذلك التبادل البيني الذي كان قائمًا بين بلدان الساحل الأفريقي وعلى وجه الخصوص زنجبار ولامو وممبسة وبين جزر القمر؛ لأنها مدن عربية، فكانت هناك

هجرات من هنا ومن هناك تتواصل في سبيل طلب العلم، فأقام بذلك عدد كبير من القمريين في تلك البلدان، كما أقام عدد من أولئك السواحليين في القمر بنفس الهدف للتعلم ثم القيام بالتدريس عندما يشعر الفرد منهم بأن المقام طاب له في هذه المنطقة أو تلك، وبخاصة القمريون في تلك البلدان، كما تؤكد لنا ذلك المصادر والمراجع العلمية وكما يظهر من أضرحة هؤلاء هنا وهناك التي ترجع إلى القرون الوسطى وبعضها إلى القرون الحديثة، وتؤكد أصول هؤلاء أو أولئك.

يضاف إلى ذلك مهجر ثالث هو بلاد اليمن، فكانت حضرموت ملاذاً آمناً للقمريين على مر القرون الوسطى إلى القرون الحديثة لتلقي العلم والمعرفة، ولم تنقطع تلك الهجرات القمرية إلى اليمن وإلى عمان إلا بعد وقوع البلاد كلها تحت الاستعمار الفرنسي في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، حيث أصبحت السفن الاستعمارية في عرض البحر تراقب المتسللين نحو الجزيرة العربية، وتظهر في هذه الحقبة أسماء تنتمي إلى أسر عربية مرموقة تنسب إلى الأشراف مثل باعلوي والحداد والسقاف وغيرها، عملت في جزر القمر عن طريق ابتعاث أولئك الطلبة المسافرين للتعلم في اليمن واصطحابهم أثناء عودتهم إلى القمر للعمل في التعليم، وكان البعض يزواج ما بين العمل في التعليم والتجارة ليسمح لهم بالتواصل مع أهلهم بالجزيرة العربية.

نمت بذلك حركة البناء التعليمية العربية وتوسعت دوائرها في جزر القمر، فكانت لكل قرية عدة مراكز تعليمية، إما بيوت المشايخ أو المساجد بما فيها زوايا الطرق الصوفية، أو تلك المدارس التي تمكنت بعض القرى والمدن الكبيرة من تأسيسها بالجهد الذاتي خلال مرحلة الاستعمار، ومثل ذلك يعد تحدياً كبيراً من قبل القمريين الذين تصدّوا بصلافة لعملية إرسال أبنائهم إلى المدارس الفرنسية بحسبانها مراكز تعليم الدين المسيحي، ولذلك لم يلتحق بها من القمريين سوى عدد قليل معظمهم من أبناء الأمراء السابقين أو المتعاونين مع الإدارة الاستعمارية خلال العقود الأولى من القرن العشرين وقبل ظهور الحركة الوطنية.

وعند ما برزت الحركة الوطنية في الأربعينيات من القرن العشرين، حاول الوطنيون إزاحة ذلك الهاجس والخوف من تلك المدارس القليلة نوعاً ما، حيث كانت لكل منطقة مدرسة ابتدائية واحدة ذات ثلاثة إلى ستة فصول في حاضرتها، يأتيها تلاميذ قرى المنطقة، فبدأ عدد من القمريين على مستوى الجزر يرسلون أبناءهم إلى تلك المدارس الفرنسية بحذر، وكان معلومها إما فرنسيين أو ملجاش أو سنغاليين، وبالتدريج بدأ بعض القمريين مع توالي السنين إلى الستينيات من القرن الماضي يشاركون في التدريس بها، وذلك بعد أن يكون الطفل قد تعلم في الخلوة القرآنية ونال شهادة الختمة التي كانت بمثابة جائزة تمنح له في عمر عشر إلى خمس عشرة سنة؛ لتدل على أنه متعلم للقرآن والأسس العامة للعلوم الإسلامية التي تمكنه من أداء الشعائر الدينية، إضافة إلى قدرته على كتابة لهجته بالحرف العربي.

وبعد الاستقلال عام ١٩٧٥م نشطت الحركة التوسعية لبناء المدارس العربية على نفس الطريقة القديمة التي سبق عرضها، وكثرت البعثات العربية إلى القمر من مصر والسعودية والكويت وليبيا والسودان على وجه الخصوص، حيث أسهمت هذه الدول في بداية مراحل الاستقلال بقبول أعداد من الطلبة القمريين للالتحاق بمعاهد الأزهر الشريف والجامعات والمعاهد في السعودية والكويت وليبيا والسودان وقطر، كما أسهمت بعض من هذه الدول بالوسائل واللوازم الدراسية من كتب ودفاتر وغيرها، كانت تُبعث إلى وزارة الشؤون الإسلامية أو الخارجية فتُحوّل إلى دار السعادة التي كانت دار المفتي ثم دار القاضي، وأحياناً أخرى إلى مدراء تلك المدارس مباشرة؛ كما كانت الحال بالنسبة للكتب التي وردت إلى مدرسة الفلاح بمروني، والتي بلغت أوجها مع الإعلان عن الاستقلال بسبب الجهود الكبيرة التي قام بها مؤسسها المرحوم الشيخ سيد هادي أحمد الهدار اليميني المتزوج من حفيدة المفتي الأسبق الشيخ المرحوم عمر بن أحمد سميّط، وكذلك تلك التي كانت تُرسل إلى مدرسة الفتح باكوني لمؤسسها الشيخ المرحوم محمد شريف جمل الليل الذي كان أول خريج من كلية بخت الرضا بالسودان في الخمسينيات، إلى غيرها من المدارس التي كانت تدار بواسطة تلك الصفوة من المشايخ حماة اللغة العربية والدين الإسلامي في البلاد.

وتطورت عمليات تشييد المدارس العربية الإسلامية عقب ذلك إلى تأسيس معاهد رابطة العالم الإسلامي في النصف الثاني من الثمانينيات من القرن الماضي، على إثر التجربة التي أجريت في نهاية السبعينات والتي أدت إلى مضاعفة القبول لالتحاق أعداد كبيرة من الطلبة القمرين في السعودية ومصر، وفتح أبواب دول أخرى كالسودان.

والسودان يعد من أهم الدول التي فتحت أبواب مدارسها ومعاهدها وجامعاتها للطلبة القمرين وبمختلف التخصصات الأكاديمية (النظرية والتطبيقية) من دراسات إسلامية وقانونية ولغوية واجتماعية واقتصادية وسياسية وطبية وعسكرية وخلاف ذلك، فضلاً عن أنه كان أول دولة عربية تمنح شهادة الدكتوراه لطالب قمر في نهاية القرن الماضي ١٩٩٩م، وفتح الباب للتحضير للدراسات العليا عبر برتوكولات تعاونية في هذا المجال الأكاديمي، وأن معظم الحاصلين على الماجستير والدكتوراه أو الذين في مراحل إعدادهما منذ افتتاح الجامعة القمرية في عام ٢٠٠٣م إنما كان السودان مرتعهم لذلك، أذكر الخمسة الحاصلين على الدكتوراه في المدة من ٢٠٠٧م إلى عام ٢٠١٢م كلهم من السودان، في مقابل ثلاثة حاصلين على الدكتوراه في السعودية من ٢٠٠٠م إلى ٢٠١٠م، وبذلك يكون السودان حامل لواء تغيير حقيقي في هذه الجزر عبر الحقول المعرفية العلمية المتنوعة القائمة على اللغة العربية، حيث يعمل معظم خريجي جامعاته ومعاهده في مختلف المؤسسات الخدمية الرسمية للدولة والمؤسسات الخاصة.

نضيف إلى ذلك ليبيا وسوريا أيضاً حيث منحتا فرصاً للطلبة القمرين منذ بداية الألفية الثالثة بشكل أخص، وقبل ذلك أيضاً لأعداد يسيرة للغاية، ولكن خلال هذه الألفية فقد وجد الطلبة القمريون فيهما فرصاً للتخصص في بعض المجالات العلمية المتنوعة إلى جانب الدراسات الإسلامية والتربوية واللغة العربية، أما دول قطر والكويت وعمان فكانت إسهاماتها في هذه المنح الدراسية، التي نحسبها هي التكوين اللغوي الأساسي لمرحلة ما بعد انضمام جزر القمر لجامعة الدول العربية عام ١٩٩٣م، ضعيفة مقارنة بالدول التي سبق ذكرها (مصر - السودان - السعودية - ليبيا - سوريا)،



وهذا مع الأخذ في الاعتبار أن دول المغرب العربي الناطقة بالفرنسية (تونس - الجزائر - المغرب) كانت ولا تزال تقدم منحاً دراسية ولكن لم تشكل البعد التكويني للغة العربية في وسط المجتمع القمري؛ لأن خريجيهما كانوا لا يجيدون العربية إلا بالمستوى الذي يجيده القمري وهو في جزر القمر قبل السفر إلى أي دولة عربية.

هذا التكوين العربي والإسلامي في وسط الشعب القمري على مرّ القرون الماضية إلى العهود الحاضرة أسهم في بناء قاعدة راسخة للحفاظ على اللغة العربية في القمر، كما أسهم أيضاً في بثّ اللغة العربية ونشر الإسلام في وسط شعوب الدول المجاورة.

### المحور الثاني: دور القمرين في نشر اللغة العربية في دول المنطقة:

— زنجبار.

— تنزانيا.

— بقية الجزر والمدن الملحقة بكينيا.

— بقية الجزر والمدن الملحقة بتنزانيا.

في المسار السادس من هذه الورقة، ذكرنا العلاقات العرقية المتداخلة عبر السلالات البشرية المشكّلة لشعوب جزر القمر ودول الجوار الساحلية لشرقي أفريقيا، ونحاول في هذا المحور أن نوضّح أن تلك الأبعاد الاجتماعية المرتبطة بالاختلاط والتزاوج؛ لكونه مصدر التكوين البشري بين كل من جزر القمر وزنجبار ومدينة دار السلام ومليندي ولوشنتو على الوجه الأخص، وغيرها من مناطق تنزانيا وكذلك مدن وجزر ممبسة وباقي ولامو وغيرها من المدن الملحقة بكينيا الساحلية، ترجع في انتمائها إلى العنصر العربي ثم الأفريقي البتوي، ويعزز ذلك الثقافة الاجتماعية المتمثلة في طريقة بناء المنازل والحياة داخل الأسر وطريقة إعداد الوجبات الغذائية والزي التقليدي الرجالي والنسائي المتشابهة بين هذه المدن والجزر، والتي تقول روايات تاريخية موثوقة عدة بأن بعض هذه المدن كان مؤسسوها قمرين، وعلى سبيل المثال لا الحصر مدينة دار السلام عاصمة تنزانيا الحالية التي يرجع تاريخها إلى القرون الوسطى حسب روايات بعض المصادر.

وأُسهم هذا الترابط والتداخل بين هذه المدن والجزر في تفاعل الحضارة الإسلامية واللغة العربية في أوج مجدها خلال القرون الوسطى، وقام القمريون ببناء المساجد والكتاتيب في تلك المدن لتعليم العلوم الإسلامية واللغة العربية، وامتد نفوذهم إلى داخل كينيا وتنقانيقا، وتغلغل حتى أوغندا وبورندي ورواندا وملاوي وموزمبيق، حيث أسَّسوا فيها مدناً ظلت شاهدة على الدور الكبير الذي لعبه القمريون في القرون الوسطى.

وامتدت أدوارهم إلى العصور الحديثة مع وقوع هذه البلدان تحت الاستعمار الأوروبي، حيث بصماتهم موجودة في لوشتو أحد أقاليم تنزانيا الذي أسسه القمري الشيخ عبده ممادي (الملقب بمجاجة) في بداية القرن العشرين، وكذلك مسجد كمبالا الذي يؤرخ لمؤسسه الدكتور موييني بركة الذي كان يقيم مع والديه بزنجبار وتعلَّم فيها، ثم التحق بجامعة ماكيريري بأوغندا وعمل على تعزيز النشاط الإسلامي بها بتشبيده مسجداً داخل الجامعة بعد حصوله على الدكتوراه في بريطانيا، وأدى ذلك كله إلى أن القمريين شاركوا في إدارة حكومات هذه الجزر وهذه الدول الساحلية المجاورة منذ أيام الإمارات السلطانية والإمبراطوريات الملكية الإسلامية التي قامت في هذه البلدان في حقبة ما قبل الاستعمار الأوروبي، ونذكر من ذلك على سبيل المثال حركة موليناكو والباسوكو.

إن المصادر التاريخية والروايات الشفهية المدونة في بعض المخطوطات توضح أن القمريين كانوا كتبة دواوين إمبراطورية كلوة من القرن العاشر إلى القرن الخامس عشر الميلادي، وكذلك مشاركتهم في إدارة سلطنة آل بوسعيد العمانية عندما نقل السلطان سعيد عاصمة إمبراطوريته من مسقط إلى زنجبار، إلى جانب عملهم في القضاء الشرعي والتعليم والإمامة في المساجد، حيث تقول الروايات التاريخية بأن القمريين وعرب جنوب الجزيرة العربية من عمان وحضرموت كان لهم دور كبير في إدارة شؤون هذه الجزر والمدن العربية.

وكذلك كانت جزر القمر نفسها في عهود السلطانات القمرية خلال القرون الوسطى تعترف بقيادة إمبراطورية كلوة في أيام مجدها، مع أنها مجتمعة كانت تتبع للخلافة

الإسلامية في بغداد وتدعو في مساجدها الجمعية بحياة الخليفة وبحياة السلطان الكلوي وسلاطين القمر كل حسب جزيرته، ثم دُعي بعد ذلك للسلطان العثماني مع مطلع العصور الحديثة وصيرورة الدولة العثمانية رمز الوحدة الإسلامية بدفاعها عن العالم الإسلامي أثناء مراحل الزحف الأوروبي على العالم الإسلامي، خاصة بعد واقعة معركة ديوفي بداية القرن السادس الميلادي في شرقي أفريقيا بالمحيط الهندي بين القوى البرتغالية والقوى الإسلامية المعززة بالدعم العسكري العثماني.

وكذلك في لامو وممبسة ومدن كينيا الساحلية أسهم القمريون عبر رحلاتهم البحرية إلى هذه المدن بإقامة وبناء المدن وتنظيم الأحياء السكنية وتأسيس المساجد والخلاوي التعليمية القرآنية والفقهية والزوايا الصوفية، لكون هذه المواقع والمراكز جزءاً لا يتجزأ من تكوينهم العرقي والوجداني، فضلاً عن الارتباط الثقافي والحضاري الإسلامي.

رحلات قمرية لم تنقطع عبر التاريخ القديم والوسيط إلى العصور الحديثة، قلوب قمرية ظلت متلهفة تدفعها الأخوة والثقافة الواحدة نحو لقاء الأشقاء في مدن ساحل أفريقيا في كل من تنزانيا وكينيا، ولعل خير شاهد على ذلك أن الدراسات الأثرية التي أجريت في السابق أكدت أن مسجد لامو يعود تاريخ بنائه إلى القرن الثامن الميلادي، ولكن الدراسات التي أجريت في جزر القمر في المدة ما بين ٢٠٠٩م إلى ٢٠١٠م عن طريق بعثة تنزانية أكدت أن مسجد نتساوين بالقمر الكبرى غازيجا يرجع تاريخه إلى القرن السابع الميلادي، وأنه لاشك كان للقمرين دور عظيم في بناء مسجد لامو في القرن الثامن، عندما وصل إلى شرقي أفريقيا الإخوة السبعة من منطقة الأحساء ونشروا فيها المذهب الشافعي، بدليل بصماتهم الواضحة؛ وبالأستقراء التاريخي التحليلي، في تاريخ بناء المسجدين، كل ذلك يؤكد قصب السبق لجزر القمر في إمامة هذه المدن في التعليم والقضاء والإدارة، وحتى المشاركة في حركات التحرير من الاستعمار الأوروبي لكل من تنزانيا وكينيا، وأن الثورة التي قامت في تنزانيا في بداية الستينيات، والتي أفضت إلى توحيد زنجبار بتنزانيا بعد القضاء على الملكية العمانية، أحدثت مذبة بشعة في

وسط القمريين والعرب العمانيين الذين كانوا يسيطرون على شؤون تلك البلاد، كما أن الحركات الوطنية القمرية الأولى بدأ نشاطها من تلك البلدان المجاورة التي كانت بمثابة موطنٍ ثابتٍ لهم بأماكنهم ونفوذهم المتجذر إلى أجدادهم الذين بنوها وعمروها عبر الحقب التاريخية المتعاقبة.

### مدغشقر:

تحدثنا في المسار السادس عن وجود صلات بين القمريين والمدغشقريين ترجع إلى العنصرين البنتوي والعربي اللذين استقرّا في الأطراف الشمالية للجزيرة، وكذلك أنه في حقبة ما قبل القرن الرابع الميلادي جاءت مجموعات كبيرة من الملايو - الإندونيسيين إلى هذه الجزيرة واستقروا بها وتمدد بعضهم نحو جزر القمر.

وتذكر المصادر والروايات أن الوجود العربي القمري في السواحل الشمالية لجزيرة مدغشقر قديم قدم دخول العرب إلى جزر القمر في مرحلة موعلة في القدم قبل ظهور الإسلام، وأنه بعد ظهور الإسلام استمرت البعثات القمرية إلى مدغشقر بغرض نشر الإسلام فيها، ولاشك أن الانصهار الاجتماعي بين جزيرة مايوت القمرية على وجه الخصوص ومدن الموانئ الشمالية لمدغشقر كان الأساس الذي به نفذ الإسلام إلى داخل هذه الجزيرة القارة.

وتحدثنا الروايات المتناقلة عبر الحقب الماضية عن الدور الكبير الذي لعبه القمريون في مدن مجانغا وديغو سوريذ ونوسيبي وتامتافي وغيرها من المدن، حيث عمل هؤلاء القمريون على تأسيس المساجد وبناء الكتاتيب والمدارس وزوايا الطرق الصوفية، وبخاصة الشاذلية والقادرية، وأسهمت هذه المؤسسات الدينية في نشر الإسلام في هذه المدن وبثه عبر المدن الجنوبية والغربية، بالتعاون مع إخوانهم العرب القادمين من الخليج العربي وخاصة اليمن وعمان، إذ لم تنقطع هجراتهم المتتالية إلى الشاطئ الأفريقي للإقامة بصورة خاصة في جزر القمر وزنجبار وممبسة، كما سبقت الإشارة آنفاً، وذلك في المدة ما بين القرون الوسطى إلى مطلع القرون الحديثة، وأن بصمات

القمرين واضحة في هذه المدن، وعندما ينسب الملاجاش دخول الإسلام إلى بلادهم يذكرون القمرين، الذين يعترف مسلمو هذه الجزيرة بأنهم أخرجوهم من حياة الوثنية الجاهلية إلى حياة النور الإسلامي وإلى التعليم الحضاري المستمد من القرآن والحديث والتعليم العربي، وأن المفردات المتعددة في لغة مدغشقر تحوي معظمها كلمات عربية.

ولعل السبب في قيام حركة القراصنة الملاجاش بالإغارة على جزر القمر خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، إنما كان بتوجيه من وثني الجزيرة القاطنين في الأجزاء الداخلية، وبتشجيع من حركات التبشير الأوروبي الذي بدأ يزحف على المنطقة منذ القرن الخامس عشر، بهدف إيقاف التقدم الإسلامي في الجزيرة، فهي قرصنة كانت لها أبعاد دينية في المقام الأول كما تورد لنا مصادر علمية أجرت ولا تزال تجري أبحاثاً تحليلية وصفية عن العلاقات التاريخية القمرية / الملاجاشية، مستنديين في تلك الدراسات على أن حالة القرصنة أعقبها ترتيبات من القوى الأوروبية لاستيلاء الملاجاش على جزر القمر عن طريق أمراء ملاجاش في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، حيث تمكّن الأميرمان تيكا الملاجاشي من الاستيلاء على جزيرة موالى القمرية الواقعة جنوب القمر الكبرى غازيجا عام ١٨٣٦م، كما تمكّن الأميرانديانا تسولي من الإعلان عن الاستيلاء على جزيرة ماوري (مايوت) الواقعة جنوب جزيرة هنزوان ثانية الجزر من حيث المساحة، وذلك في الزمن نفسه تقريباً، والاتفاق مع فرنسا لوضعها تحت الحماية الفرنسية ما بين عامي ١٨٤١م و١٨٤٣م، وذلك بعد أن كانت فرنسا قد استولت على جزيرة نوسيبي المدغشقرية عام ١٨٣٩م.

وتضيف هذه الدراسات أنه رغم ذلك فقد أسلم هؤلاء الملاجاش الذين حكموا هذه الجزر وأعلنوا انتماءهم لها، وظلت الجالية القمرية في مدن مدغشقر تواصل نشاطها التعليمي والاقتصادي والسياسي مع وقوع جزر القمر تحت الاستعمار الفرنسي في القرن التاسع عشر الميلادي، حيث تبوأ القمريون مناصب رفيعة في ظل الإدارة الاستعمارية الفرنسية لمدغشقر، ومثلوا الطبقة الأرستقراطية بفضل العلم والحضارة المستمدة

من الإسلام، حتى أنهم كانوا يستخدمون الملاجاش عملاً من الدرجة الثالثة، ولعل ذلك من الأسباب المباشرة - كما تقول معظم المراجع الحديثة - للمذبحة التي تعرّض لها القمريون في عام ١٩٧٦م في مدينة مجانغا، التي كان القمريون فيها يحتكرون كل شيء والملاجاش يخدمونهم، وأدت تلك المذبحة إلى طرد القمريين من مدغشقر إلى القمر.

صحيح أن العلاقات عادت بعد ذلك بسنين وبدأ التداخل بين الشعبين عن طريق العنصر المعروف باسم زنتان (وهم المولّدون من آباء قمرين وأمهات ملاجاشيات، حيث كان القمريون يتزوجون الملاجاشيات وينجبن لهم الأولاد ويحملونهن إلى القمر، كذلك كانت الحال بالنسبة لمعظم جزر ومدن المنطقة)، وانفتح مؤخراً مجال للملاجاش للعمل في جزر القمر عبر هؤلاء الأبناء المولّدين، إلا أن ذلك الحادث في مضمونه الاجتماعي كان له أثر كبير في ذلك البعد الحضاري الإسلامي والعربي.

والقمريون بهذه الصفات المميزة من العزة والرفعة الاجتماعية الغالبة على شعوب هذه البلدان، ومهارتهم الفائقة في الإبحار بالسفن الشراعية العربية والقمرية بأحجامها الصغيرة، ومن حيث حضارتهم العربية والإسلامية المتصلة، تمكّنوا من نيل القبول في وسط هذه الشعوب في مدغشقر خلال القرون السابقة على مرحلة الزحف الاستعماري الأوروبي على العالم الإسلامي، التي تبدأ بعصر الاكتشافات الجغرافية وسقوط الأندلس الإسلامية في القرن الخامس عشر الميلادي، وما أعقب ذلك من مراحل هذا الزحف الأوروبي على أقاليم العالم، حيث كانت منطقة شرقي أفريقيا الإسلامية من أهم تلك المناطق التي دارت فيها رحي هذه الحروب الصليبية خلال القرون الحديثة، وأدت إلى وقوعها مقسمة بين الدول الأوروبية المتنافسة بعد مؤتمر برلين الأوروبي، الذي جاء خصيصاً للاتفاق على تقنين عملية تقسيم أفريقيا والأقاليم الإسلامية بين الدول الأوروبية، بهدف تهميش دورها الريادي في حمل مشاعل النور نحو العالم حقداً صليبيّاً موروثاً، إلا أن ذلك لم يثن القمريين عن أداء دورهم في التعليم الإسلامي والعربي وتعمير دور العبادة في مدغشقر إلى يومنا هذا.

### موزمبيق:

إن القمرين شعب بحري لموقع بلاده الجزري في هذا الطرف الغربي من المحيط الهندي، وهو مغامر في خضم أمواجه، ومنهم صيادون ماهرون تعلموا صناعة السفن الشراعية العربية للإبحار إلى الجزر والدول المجاورة، والسفر إلى بلادهم الأصلية في الجزيرة العربية وإلى الحج بعد ظهور الإسلام والتعلم في جوار الحرمين الشريفين، والمراكب البحرية الصغيرة المعروفة باسم (غالوة) للصيد السمكي، يتعلم الصبي منهم السباحة منذ نعومة أظفاره، ويرجع ذلك إلى الموقع البحري الممتاز ولأن شعبها عربي بحري قدم من جنوب الجزيرة العربية منذ عهد سحيقة كما سبق.

وكانت موزمبيق، التي يسميها القمريون (متسومبيجي)، الواقعة جنوب غربي القمر مهجراً اضطرارياً للصيادين الضائعين في البحر بفعل الأمواج والرياح والعواصف التي كانت تهب في مناطق صيدهم وترميهم بمراكبهم الصغيرة نحو الشمال في تنقانيا أو كينيا أو الصومال أحياناً، وأحياناً أخرى نحو الجنوب في موزمبيق، شكلت تلك الهجرات الاضطرابية إلى جانب هجرات قمرية مقصودة لنشر الإسلام بعد ظهوره في أقاليم موزمبيق، وخصوصاً مناطق سوفالا التاريخية، مواقع خصبة لاستقرار هؤلاء القمرين، حيث بنوا المساجد وشيدوا الخلاوي القرآنية والمدارس الإسلامية، ولا تزال بصماتهم واضحة في تلك البقاع الموزمبيقية وما جاورها من بلدان جنوب أفريقيا، ولا شك أن الحدود البحرية المشتركة بين جزر القمر وموزمبيق عامل مساعد في توطيد عملية دعم الاتجاه القمري القديم نحو خطة مستقبلية لنشر اللغة العربية والإسلام في تلك البلدان.

### بقية جزر المحيط الهندي (سيشل - موريشيوس - لارينو):

#### جزر سيشل:

جزر سيشل الواقعة إلى الشمال الشرقي لجزر القمر، كانت من البلدان في هذه المنطقة التي دخلها القمريون عبر تاريخهم البحري الطويل، حيث أسهموا مع الهنود المسلمين المهاجرين إليها عبر القرون السابقة على الاستعمار في بناء دور العبادة والتعليم الإسلامي، ولا تزال البصمات القمرية واضحة للعيان في هذه الجزر.

وعندما دخلها الاستعمار البريطاني كان بعض القمريين قد اتخذوها موطناً لهم وبدؤوا في التزاوج مع الهنود، فشكلوا المجتمع السيشلي اليوم، وتراثهم بقي شاهداً على ذلك الماضي التليد الذي يؤكد أن معطياتهم الحضارية دخلت في كل مدن وجزر هذه المنطقة.

### موريشيوس ولارينو:

تقع كل من موريشيوس ولارينو في جنوب جزر القمر، والأولى عُرفت في التاريخ السابق على الحروب النابليونية باسم ايل دي فرنس؛ أي الجزيرة الفرنسية، وبعد هزيمة نابليون أمام القوى الأوروبية الملكية المتحالفة في بداية القرن التاسع عشر الميلادي احتلت بريطانيا هذه الجزيرة وتحول اسمها بطبيعة الحال إلى موريشيوس، أما لارينو فقد عُرفت باسم جزيرة البريون، ويسمى القمريون (بوروبوا)، ظلت فرنسية وتعد من المقاطعات الفرنسية فيما وراء البحار.

وسكان هاتين الجزيرتين خليط من الهنود والقمريين فضلاً عن الأوروبيين من ذوي الأصول الإنجليزية والفرنسية، وتؤكد المراجع الدور الريادي الذي لعبه القمريون وكذلك العرب في هاتين الجزيرتين إلى جانب الهنود في عملية أسلمة عدد كبير من أهالي الجزيرتين، من حيث إقامة المساجد والمدارس الدينية، وإن التطور الملحوظ الآن في هاتين الجزيرتين للأنشطة الدينية إنما يرجع إلى العمل المشترك بين هذين العنصرين: الهندي والقمري، واللذين بتزاوجهما وترابطهما الإسلامي كانا وراء هذه الأنشطة الدينية القائمة الآن في مساجدهما.

وتوضح دراسات حديثة أن أئمة مساجد هاتين الجزيرتين أصولهم من جزر القمر، وأنه في كل رمضان يتم الاتصال بحفظة قمرين لإمامة المسلمين في صلوات التراويح والوتر، ويجدر هنا أن نشير إلى أن أغلبية السكان يُعرفون باسم (الكيرويل)، وهو عبارة عن خليط من الهنود والأوروبيين المهاجرين إليها، وبنسبة أقل بين القمريين وإحدى السلالتين السابقتين.



## المحور الثالث: عوائق معاصرة في طريق الدور القمري لنشر الإسلام واللغة العربية في دول الجوار:

في الوقت الذي يشهد فيه العالم تطوراً ملحوظاً في وسائل الاتصالات والمواصلات بفضل التكنولوجيا السريعة التي تساعد على التحرك في التواصل والاتصال، والقيام بأعمال كانت في الماضي بعيدة المنال أو مستحيلة بسبب ندرة وبدائية وسائل النقل والاتصال، يبرز الدور القمري العظيم الذي لعبه القمريون في المراحل السابقة من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة وفي عهد الاستعمار الأوروبي، حول قيامهم بالدعوة الإسلامية عن طريق الاتصال المباشر مع شعوب منطقة شرقي أفريقيا في المحيط الهندي، لأن شعب جزر القمر وسط بين هذه الشعوب من حيث الموقع الجغرافي والخبرة الموروثة في مهارة ركوب البحر والقدرة على الحركة كصفة متجسدة فيه، ما يجعله إماماً وقائداً لشعوب جزر ومدن شرقي أفريقيا التي سبقت أن ذكرناها في المحور السابق، من حيث المعطيات الثقافية والحضارية الكامنة في وجدان هذا الشعب الذي لم يجد بعد دراسة استيضاحية لمخزونه الفكري والحضاري المتميز عن بقية إخوانه من سكان هذه المنطقة، ما أهله في الماضي لنيل القبول لدى جميع سكان المنطقة، وتمكّن من خلال تلك القيادة من تجسيد دوره في تعليم وتثقيف أبناء هذه البلدان والمشاركة في إدارة شؤونها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، فضلاً عن تأسيس مدن وقرى على امتداد تلك البلدان وما والاها من المناطق الداخلية في أفريقيا الشرقية، ظلت منارة للعلم ومشاعل للحضارة الإسلامية والعربية فيها تُنسب إلى القمريين على مر تلك الحقب التاريخية الماضية.

وجاءت المرحلة الحالية منذ نهاية الاستعمار الأوروبي في هذه البلدان مع بداية النصف الثاني من القرن العشرين الماضي لتشهد تراجعاً عن ذلك الدور، الذي كان من المتوقع أن يستمر عطاؤه لمواجهة التحديات التي تحيط بشعوب هذه المنطقة بهدف النيل من عقيدتها وثقافتها الإسلامية والعربية، وكان على القمريين مواصلة دورهم

في التوجيه والتعليم والإرشاد لتلك الشعوب التي لا تزال تحتفظ في ذاكرتها بأجمل الذكريات عن دور القمرين، نسمع ذلك عندما نسجل زيارات إلى تلك البلدان.

كان من المفترض أن يكون الدور القمري في المرحلة الراهنة مؤهلاً أكثر من المرحلة السابقة بمضاعفة نسبة الخريجين سنوياً من المتعلمين من المعاهد والجامعات العربية وعودتهم إلى القمر، والدور الدعوي والتعليمي الإسلامي والعربي الذي يلعبونه داخل وطنهم، كان من المنتظر تحريك البوصلة الدعوية والتعليمية لدول الجوار أسوة بما كان عليه أسلافهم، بيد أن هناك جملة عوائق تقف في طريق المعاصرين تحول دون أداء دورهم تجاه إخوانهم في دول المنطقة.

وصحيح أن هناك اتصالات لا تزال موجودة بين القمرين وشعوب هذه الدول المجاورة في التجارة والعلاج والدراسة والإقامة أحياناً، ولا شك أن بعضهم يحملون ذلك الإرث التاريخي العظيم الذي كان عليه آباؤهم السابقون في تلك الأقاليم من شرقي أفريقيا من حيث إمامة الناس وتعليم الدين لأبناء تلك الشعوب، إلا أنها تظل محدودة وغير منظمة.

وحيث إن جزر القمر هي الدولة العربية والإسلامية الوحيدة بمفهوم الدولة في هذه المنطقة من المحيط الهندي، حيث معظم الجزر الإسلامية ذات الأصول العربية كزنجبار ولامو وممبسة وماليندي أصبحت ملحقه بدول لا تحسب أنها إسلامية مثل كينيا وتنزانيا، ولذلك تصبح جزر القمر بهذا المفهوم الحديث وذلك البعد التاريخي القديم رائدة للتعليم والدعوة الإسلامية في هذه المنطقة من جديد، وبصورة عصرية تلائم المرحلة وتحدياتها المعاصرة، إلا أن العوائق التي تقف في طريق القمرين تحول دون القيام بذلك الدور، ويمكن تحديد هذه العوائق على النحو الآتي : عوائق داخلية وعوائق خارجية.

### وتتلخص العوائق الداخلية في:

- ١- تيه الشعب القمري في تأكيد هويته العربية لمدة زادت على ١٨ سنة منذ استقلالها عام ١٩٧٥م، حيث قبلت دولة عربية وانضمت إلى الجامعة العربية عام ١٩٩٣م، ولمدة ٤٨ سنة منذ تأسيس الجامعة العربية عام ١٩٤٥م إلى تاريخ

انضمامها المشار إليه، وهذه مدة طويلة كانت جزر القمر فيها تائهة في هذه المنطقة بعيدة عن أشقائها من الدول العربية، فلا تدري بثقافتها وحضارتها العربية الخالدة التي تحكي حقيقة عروبتها من حيث تركيبة شعبها الاجتماعية ومن حيث نظرة هذا الشعب المميز لشعوب المنطقة بأنها أفريقية أو ملاجاشية أو ذات أصول هندية كسكان لارينو وموريشيوس وسيشل، وهو وسطها قمري مسلم، يقبل أنه أفريقي في الاجتماعات واللقاءات الأفريقية الرسمية التي تجمع الدول الأفريقية في مناسبات مختلفة، وأنه من دول جزر المحيط الهندي في المناسبات التي تجمع هذه الدول، ولكنه يرفض أنه أفريقي أو ملاجاشي أو كيرويل، فهو يختلف في ثقافته وعزة نفسه وشعوره بتفوقه على شعوب المنطقة من حيث نسج نظامه الاجتماعي المميز القائم على ثقافته العربية التليدة، إضافة إلى أنه مسلم متدين يمثل ذلك اهتمامه بهندامه وكمال زيه التقليدي العربي.

٢- غفلة الإدارات المسؤولة في البلاد خلال الحكومات الوطنية المتعاقبة منذ الاستقلال إلى اليوم عن دورها في توجيه الشعب نحو هويته العربية كمصير لإثبات الذات والشخصية القمرية، وإخراجها من التيه والضياع إلى تأكيد وجودها كونها عنصراً ينتمي إلى أمة ذات حضارة خالدة أبد الدهر يفتخر بها المنتمي إليها لعظمتها في خدمة الإنسان في دنياه وأخراه.

٣- عدم إدراك المسؤولين خلال ما يزيد على ثلاثة عقود ونيف أن الأبعاد الحضارية لإثبات الذات هي مسألة لا تقبل المساومة أو التفاوض حولها، بل هي أساس وجود دولة ذات قيمة في هذه الحياة، ولا تتحقق إلا بالتحول إلى الركائز الأساسية التي ترمز لتلك الذات، وهي العودة إلى جوهر الحقيقة باتخاذ إجراءات وطنية جريئة ومنطقية، لأنها نابعة من صميم الشعب، مثل تعريب دواوين الدولة أو على الأقل تعريبها بعد انضمام الدولة للجامعة العربية، ولكن ذلك لم يتم حتى اليوم، وأصبح من المعوقات التي وقفت في طريق دفع الدور القمري لنشر العربية وبث الدعوة الإسلامية نحو دول الجوار خلال هذه الحقبة من الاستقلال، بينما كانت

مظاهر السيادة والحرية التي تنعم بها هذه البلدان فرصة للتفاعل مع أي نشاط قادم من إخوة لهم ذكريات طيبة راسخة ضاربة في القدم دماً وثقافة وقيادة.

٤- أن التحول يبدأ من النشء، فلذلك كان من المتوقع بعد الاستقلال؛ أو على أقل تقدير بعد انضمام هذه البلاد إلى الجامعة العربية عام ١٩٩٣م، أن يتم تعريب المناهج، بالاستفادة من الدول العربية التي كانت على استعداد لمساعدة جزر القمر في هذا الاتجاه، ولكن ظلت سياسة التعليم على مسارها الفرنسي وبعدد ساعات قليلة لدراسة بعض النصوص العربية، لذر الرماد في عيون الشعب القمري الذي يتطلع إلى التعريب أولاً، وثانياً في عيون الأشقاء العرب الذين ما فتئوا يعملون على تقديم المساعدات لهذه البلاد، وخاصة في مجال المنح الدراسية التي توسعت في هذه المرحلة إلى بعض البلدان العربية، ولكن بغفلة من أصحاب القرار الذين ما إن صحوا حتى وجدوا أبناءهم الخريجين من السعودية ومصر والسودان بأعداد متزايدة فرضت نفسها على أرض الواقع منذ الثمانينات من القرن العشرين، وكان المتوقع أن تعيد الحكومات المتعاقبة حساباتها في وضع آليات لتعريب المناهج، ولكن لم تبال بذلك، وتوالى الدفعات المتخرجة بمختلف التخصصات العلمية المتنوعة، وخاصة من السودان التي كانت أول دولة عربية تمنح درجة الدكتوراه لطالب قمري في ١٩٩٩م، وأول دولة عربية تخرج ممرضة وطبيباً وغير ذلك من فنون المعرفة التي توسعت مع توالي السنين إلى يومنا هذا، وقد سبقت الإشارة إلى بعض ذلك في المسارات السابقة.

وكانت الصفوة العربية تسعى إلى اعتراف بالشهادة ذات المساق العربي إلى أن وافق المسؤولون على ذلك بعد عراك طويل، وكأن المسؤولين في الدولة لم يدركوا حتى الآن حقيقة الواقع القمري بأنها دولة عربية وعليها التدريس باللغة العربية وأن تكون الدواوين باللغة العربية ويكون من يشغل أي وظيفة دارساً ومتعلماً باللغة العربية، وتكون اللغة الفرنسية لغة ثانية لكونها لغة دولية حية وللقمريين معها مصالح بالعلاقات الخاصة مع تلك الدولة الاستعمارية والدول الناطقة باللغة الفرنسية.

لاشك أن عدم تعريب المناهج وتدرّيس العلوم باللغة العربية منذ ما يقرب من عقدين منذ انضمام القمر للجامعة العربية عائق من عوائق تفعيل الدور القمري الريادي في تعليم شعوب شرقي أفريقيا الدين واللغة العربية في هذه الحقبة من تاريخ البلاد.

### العوائق الخارجية:

أما عن العوائق الخارجية الحائلة دون تفعيل الدور القمري في موضوع نشر الدعوة الإسلامية في دول الجوار في هذه المرحلة فتتمثل في:

١- قلة متابعة العالم العربي، أو بالأحرى جهله بالدور القمري التاريخي والريادي في هذا المضمار في هذه المنطقة، في الوقت الذي بدأت الدول الاستعمارية تخطط لإستراتيجية جديدة لما بعد الحقبة الاستعمارية، عبر جمعيات خيرية وبعثات ذات أغراض مشبوهة لعرقلة أي عمل إسلامي في هذه المنطقة، وربما السبب في ذلك يرجع إلى ما ظلت تعانيه الدول العربية المركزية من تحديات ومشاكل بعضها داخلية وأخرى خارجية.

٢- توقف الزيارات العلمية من الأزهر الشريف على وجه الخصوص التي كانت تتردد على هذه البلاد، والتي كانت تمثل أحد أبعاد التواصل بين الدول العربية وهذه الجزر في الماضي، صحيح ربما يقول قائل إن المهمة الأزهرية حققت نتائجها بتخريج مقرئين ومدرسين قمريين، إلى جانب انضمام دول عربية مهمة كالسودان والسعودية أهلت القمريين تأهيلاً علمياً متنوعاً، ولكن تصبح الحاجة الآن أكثر من ذي قبل، نظراً لوجود مثقفين قمريين قادرين على التوضيح لعلماء المؤسسات العربية في هذه المرحلة أثناء زياراتهم العلمية ما يجهلونه من تاريخ وحضارة هذا البلد العربي، ودوره الكبير الذي لعبه أهله عبر التاريخ الماضي في نشر الإسلام في دول المنطقة، ولاشك أن ذلك يساعد على بناء إطار عمل مشترك بين القمريين والعلماء العرب في نشر الإسلام واللغة العربية في هذه المنطقة، وحيث إن هذه الزيارات العلمية توقفت منذ العقدين الماضيين أو

أبعد من ذلك، فإنها تشكل أحد المعوقات الخارجية العائقة لنشاط القمرين في القدرة على القيام بمهامهم، لانعدام المحرك الذي يلزم من إمكانيات مادية لمواجهة البعثات التبشيرية الغربية في المنطقة، صحيح أن هناك بعثات تعليمية سعودية وسودانية وفقاً لاتفاقية تعاونية علمية، إلى جانب معاهد ومراكز عربية لتلك الدولتين المذكورتين أنفاً وأخرى كويتية، ولكن هذه البعثات والمراكز التعليمية محدودة في دورها ومحصورة في مدرسة إلى مدرستين في العاصمة أو ما جاورها، وهي غير منوط بها هذا الدور في الدعوة الإسلامية لشعوب دول الجوار.

٣- تساهل الجامعة العربية في موضوع إلزام جزر القمر بالتعريب النهائي لدواوين الدولة، وتعريب المناهج التعليمية منذ ما يقرب من ١٨ سنة مضت على انضمامها إليها، ونحسب أن الجامعة العربية لو اتخذت قراراً في هذا الشأن لكان لزاماً على جزر القمر العربية الانصياع، حيث يكون ذلك توبيخاً وتوجيهاً لما يجب على هذه الدولة العربية الوحيدة في هذه المنطقة الإستراتيجية من اتباع لنهج الجامعة العربية، لتكون هي البوابة الرئيسة المنوط بها أمر نشر العربية في هذه المنطقة، ويمكن بهذه السياسة أن تتحول اللغة العربية لغة رئيسة لتلك البلدان خلال سنوات قليلة.

ونحسب أن الجامعة تساهلت كثيراً في هذه المسألة الجوهرية، وأن هذا التساهل لا مبرر له، حيث قبلت جزر القمر دولة عربية وفقاً لمعايير ثقافية منها اللغة العربية، فإذا كانت هناك أسباب دعت إلى عدم تعاملها بهذه اللغة بشكل صحيح في جميع المعاملات الأساسية التي توضح ذلك الانتماء فلا بد من وضع آليات من قبل خبراء الجامعة لجعل ذلك ممكناً في الدواوين والمناهج التعليمية، وخلال مدة زمنية محددة، وليس ترك هذه الدولة العربية تفعل ما تشاء في موضوع حيوي لا يمكن التساهل فيه أبداً.

صحيح أنه كانت هناك محاولات بدأت منذ ٢٠٠٣م من قبل الجامعة القمرية عن طريق كلية الإمام الشافعي لإقامة دورات للغة العربية بهدف الإسهام في التعريب في

البلاد، وعملت مؤسسة سعود البابطين منذ ٢٠٠٩م على تشجيع هذه الدورات وكفالتها وتوسيع رقعة المراكز على مستوى بعض المحافظات، إلا أنها تظل محدودة للغاية لأنها لم تغطّ بعد جميع محافظات الجزر وبلدياتها، ثم إننا نحسب أن هذا جهد خاص في حين أن المطلوب في هذا المضمار هو قرار الجهات الرسمية لوضع البلاد في موقعها الصحيح والسليم بدلاً من الضياع والخذاع.

٤- للمؤتمر الإسلامي دور مهم عليه تفعيله في دعم هذه الجزر، لتمكينها من القيام بمهامها في الوقت الحاضر لنشر الإسلام لدى شعوب منطقة المحيط الهندي، خاصة أن جزر القمر هي الدولة الإسلامية الوحيدة في هذه المنطقة من المحيط الهندي بمفهوم الدولة.

كما ظلمنا نردد أن القارة الأفريقية هي القارة الإسلامية الموعودة بانتشار الإسلام في أذغالها، ولكن هذا الكلام لابد أن تعقبه أفعال من دول منظمة التعاون الإسلامي، التي لا تجد باباً آمناً تعبره في منطقة دول جزر المحيط الهندي إلا جزر القمر، ولذلك فإن انعدام التفاعل بين منظمة التعاون الإسلامي وجزر القمر حول موضوع الدعوة الإسلامية يصبح عائقاً من عوائق تفعيل دور القمريين في هذا الاتجاه، في هذه المرحلة التي تحتاج إلى وسائل متعددة لمواجهة وسائل الجمعيات التبشيرية الغربية العاملة هي الأخرى عبر جمعيات محلية بهدف نشر دياناتها وعقائدها.

## المحور الرابع: الآلية الإستراتيجية القمرية للعمل المستقبلي الإسلامي والعربي في دول الجوار:

وحيث تحدثنا عن دور كبير كان للقمريين في ماضيهم لنشر الإسلام واللغة العربية في الدول المجاورة لها في شرقي أفريقيا وجزر المحيط الهندي الواقعة في الجنوب الغربي من المحيط الهندي، وحيث رأينا وجود عوائق في أداء دورهم في الوقت الحالي، يصبح بالضرورة أن نحدد آلية تمكّن القمريين من القيام بدورهم في المستقبل، وتتمثل هذه الآلية: التي هي أيضاً بمثابة خلاصة وتوصيات عامة لهذه الورقة، في النقاط الآتية:

١- إقامة مجلس علمي مستقل ذي صلاحية إدارية ومالية وملحق برئاسة الجمهورية مباشرة أو بوزارة الإعلام، يناط به أمر إعادة كتابة تاريخ هذه البلاد، ويتمكن هذا المجلس من خلال أبحاثه من التحقق والتأكد من دور القمرين على مر الحقب التاريخية المؤثر في شعوب دول الجوار، حيث لا يزال هذا الدور مجهولاً لدى أغلبية هذا الشعب، ناهيك عن الدول العربية، في حين تردده شعوب هذه المنطقة بالبصمات والآثار الباقية التي خلفها القمريون في هذه البلدان.

٢- قيام الدولة بإصدار قرارات لتعريب الدواوين الحكومية، ويمكن الاستفادة من خبرات الأشقاء العرب في هذا الخصوص عن طريق الجامعة العربية، وذلك بتشكيل لجان فنية وطنية يناط بها هذا الأمر وخلال مدة زمنية أقصاها خمس سنوات من الآن.

٣- قيام الجهات الرسمية بإصدار قرارات لتعريب المناهج التعليمية لجميع المراحل الدراسية، والعمل على فصل البنين عن البنات في الدراسة، وذلك بتخصيص مدارس للبنين وأخرى للبنات على مستوى الجزر القمرية المستقلة، ويمكن الاستفادة والاستعانة بخبرات الأشقاء من الدول العربية عبر الاتفاقيات الثنائية، ويمكن تشكيل لجان فنية وطنية للتنسيق في هذا العمل مع الخبراء العرب في منظمات الألكسو والأيسيسكو، وهما على استعداد للقيام بتمويل العملية وتقديم كل ما يلزم لتحقيق هذه الغاية الغالية التي ينشدها الشعب القمري.

٤- إجراء تعديل طفيف ولكنه مهم في دستور البلاد في اللغات الرسمية للدولة، لكتابة النص على النحو الآتي: اللغة العربية واللهجة القمرية ثم اللغة الأجنبية الفرنسية هي اللغات الرسمية للدولة. لأننا في مسالة مصير أمة وهوية شعب تائه فلا يمكن السكوت عليها والتهاون بها بسبب من الأسباب، والدولة لها سيادتها الوطنية.



## المراجع

- محمد ذاكر حسن سقاف: استعمار جزر القمر ١٨٤٣-١٩١٨ - رسالة ماجستير مقدمة لجامعة أم درمان الإسلامية، مارس ١٩٩٤م.
- محمد ذاكر حسن سقاف: معجم ثنائي عربي - رسالة ماجستير مقدمة لمعهد الخرطوم الدولي للغة العربية لغير الناطقين بها، مايو ١٩٩٤م.
- محمد ذاكر حسن سقاف: الحركة الوطنية القمرية ١٩١٨ - ١٩٧٥، رسالة دكتوراه مقدمة لجامعة أم درمان الإسلامية ١٩٩٩م.
- محمد ذاكر سقاف: جزر القمر عبر العصور - كتاب مطبوع، صدر ٢٠٠٢ بمروني.
- محمد ذاكر حسن سقاف: دولة آل بوسعيد في زنجبار وعلاقاتها بجزر القمر مخطوط ١٩٩١ غير منشور.
- محمد ذاكر سقاف: تاريخ بناء المدن والقرى بجزر القمر، مخطوط ٢٠٠٣ غير منشور.
- محمد ذاكر سقاف: تاريخ الرئيس علي صالح - مخطوط ٢٠٠٣ غير منشور.

## نبذة عن المؤلفين

### سعيد برهان عبد الله

ولد في افنديه شمبوان بجمهورية القمر المتحدة. حصل على الدكتوراة في أصول الفقه بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ٢٠٠٠م. عضو هيئة التدريس في كلية الإمام الشافعي للعلوم الإسلامية والعربية منذ تأسيسها عام ٢٠٠٢م ولا يزال. هو أول عميد لهذه الكلية إلى عام ٢٠١٥م حيث انتخب رئيساً للجامعة الوطنية إلى عام ٢٠١٨م حيث استقال من هذا المنصب. هو رئيس اتحاد علماء أفريقيا منذ تأسيسها عام ٢٠١١م في بماكو إلى الآن، وقد شغل في السابق منصب الأمين العام المشترك لدار الإفتاء ومكتب سماحة مفتي الجمهورية من عام ٢٠٠١م إلى عام ٢٠٠٧م، ومستشاراً لرئيس الجمهورية من عام ٢٠٠٣م إلى عام ٢٠٠٦م. له أبحاث علمية عديدة قدم بعضها في مؤتمرات دولية وإقليمية، وأخرى في قضايا مختلفة في مجال الفقه. حصل على جائزة المدينة للنموذج العلمي في مرحلتي الماجستير والدكتوراة، وفاز بالمركز الأول في أبحاث الملتقى الرمضاني للجنة الدعوة في أفريقيا مرتين عام ٢٠٠٦م وعام ٢٠٢١م.

### سيد عبد الله سيد أحمد جمل الليل

ولد في موروني - عاصمة جزر القمر - عام ١٩٧٥م، وهو أستاذ جامعي باحث، وعضو هيئة التدريس بجامعة جزر القمر، ومدير مكتب مفتي الجمهورية. عمل سابقاً مديراً للشؤون التعليمية بكلية الإمام الشافعي بجامعة جزر القمر، وأميناً عاماً لمجلس الكلية. حاصل على الدكتوراة في كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ٢٠١٠م،

وهو عضو في لجنة الدعوة في إفريقيا (مقرها الرياض)، وعضو مؤسس لاتحاد علماء أفريقيا (مقرها باماكو)، ورئيس فرع الاتحاد في جزر القمر. مشارك بصفة مدرب ومحكم في البطولة الدولية لمناظرات الجامعات بالعربية في الدوحة، كما أن له العديد من الأبحاث العلمية والتحقيقات الفقهية، ومشاركات في عدة مؤتمرات دولية علمية وإفتائية.

### إسماعيل مولد

ولد عام ١٩٧٥ بجزر القمر المتحدة. أستاذ باحث، وعضو هيئة التدريس في كلية الإمام الشافعي في جامعة جزر القمر. كان مسؤولاً للأيتام في وزارة العدل والشؤون الإسلامية، ورئيساً لاتحاد كتاتيب منطقة مباحين، ونائب رئيس مجلس علماء منطقة مباحين المكلف بشؤون الكتاتيب. شارك في عدد من المؤتمرات والملتقيات والندوات العلمية، درس في سوريا ومصر، وحاصل على دكتوراة في عام ٢٠١٩م في جامعة أم درمان الإسلامية في السودان.

### ذاكر السقاف

محمد ذاكر حسن سقاف، مؤرخ وباحث في الشؤون التاريخية والاجتماعية والسياسية، ولد في موروني عام ١٩٦٣م، وكان أحد المؤسسين لكلية الإمام الشافعي للعلوم الإسلامية، واللغة العربية في جزر القمر عام ٢٠٠٢م، والتي كانت النواة لقيام جامعة جزر القمر. عمل باحثاً وكاتباً لتقارير في بعثة جامعة الدول العربية في موروني خلال الفترة من ٢٠٠٨ إلى ٢٠١٢م، وعمل في سفارة المملكة العربية السعودية في موروني في وظيفة باحث وكاتب تقارير من عام ٢٠١٥ إلى ٢٠٢٢م. عضو في هيئة التدريس بكلية الإمام الشافعي في جامعة جزر القمر، ومؤلف لعدد من الأعمال، منها: (كتاب جزر القمر عبر العصور) عام ٢٠٠٢م، وله مشاركات في عدد من اللقاءات والندوات العلمية الدولية والإقليمية، ومؤسس لمدرسة حسن سقاف الخاصة منذ ١٩٩٦، وحاصل على الدكتوراة عام ١٩٩٩م من جامعة أم درمان الإسلامية في السودان.





## نبذة عن الكتاب

يسعى مجمع الملك سلمان العالمي للغة العربية إلى كشف حال اللغة العربية في دول العالم الناطقة بغيرها، وتكوين قواعد معلومات مختلفة عنها، ومؤسّساتها في تلك الدول، وأبرز علمائها، وجهود المختصين فيها، ومدى حضورها؛ وذلك بمجموعة إصداراتٍ متنوعةٍ، في سلسلتي: (الأدلة والمعلومات)، و(العربية في العالم)؛ ويهدف المجمع - من وراء ذلك - إلى تجسير التواصل بين المؤسّسات والأفراد المعنيين باللغة العربية في: الدول العربية، وبين أشقائهم في الدول غير العربية، ويمهّد لمشروعاتٍ علمية وعملية يقوم بها، أو تقوم بها الجهات ذات الهدف المشترك.

ويدعو المجمع الباحثين من أنحاء العالم كافة إلى التواصل معه؛ للمساهمة في هاتين السلسلتين، أو في سلاسل المجمع الأخرى، وذلك طمعاً في تراكم المعرفة، وثنائها، ولتكوين مرجعية موثوقة ترصد حال اللغة العربية في كل أنحاء العالم، وتوفّر المعلومة للمستفيدين، وتكون إرثاً باقياً، وتقديراً للجهود التي بذلها المخلصون في خدمة هذه اللغة الشريفة.



9 786038 444290

هذه الطبعة  
إهداء من المجمع  
ولا يُسمح بنشرها ورقياً أو تداولها تجارياً

